كتاب الهلال

الغذاء السحري

تأليف ه . ج . ويلز

سلسلة ثقافية شهرية

١٠ قروش

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ١٥٥ – رمضان ١٣٨٣ – فبراير ١٩٦٤

No. 155 — February 1964

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة جنيه مصرى – فى السودان جنيه سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا – فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠٠ مليم .. فى الامريكتين ٥ دولارات ونصف – فى سائر انحاء العالم ٣٥ شلنا

سعر البيع [illegible] آنة ، ليبيا بنغازى [illegible] فرنكا ، المغرب

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

هذا الكتاب

« ويلز » من أنبياء العلم فى عصر العلم . وقد خصص الجانب الاكبر من مؤلفاته ، لتفهيم الناس مدى سلطان العلم ، وتصوير الحدود التى يمكن ان يصل اليها الابتكار العلمى فى تغيير حياة الانسان نفسه عن طريق تغيير ظروف حياته .. فهو الذى صور منذ خمسين سنة احتمالات غزونا لكواكب الفضاء أو غزو كواكب الفضاء لنا ..

وهو فى هذا الكتاب الذى كتبه فى قالب شبيه بالقصة يبلغ غاية المدى فى التشويق والمفاجأة على أساس منطق علمى .. فانسان المستقبل هو موضوعه . وهو يقدم فكرة علمية عن تغذية جديدة أشبه فى أثرها بآثار الذرة التى عرفناها لولا أنها تنتج نسلا غاية فى الضخامة والقوة . ويصور النفس الانسانية بين الخوف على الذات ، وبين امكانات السوبرمان الجديد ، وذلك فى اطار من الاحداث والمواقف والتحليل الشائق والتفكير العلمى ..

ں

كتاب الهلال

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغذاء السحري

للكاتب الإنجليزي

هـ . ج . ويلز

دار الهلال



الكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز

اكتشاف مفاجئ

كان ذلك فى منتصف القرن التاسع عشر حين ظهرت فئة من الرجال الذين تقدمت بهم السن ، أطلق عليهم الناس لفظ « العلماء » وقد كانوا جديرين حقا بهذه التسمية ، برغم انهم فى قرارة انفسهم كانوا يمقتون ان يسموا بها ، فلم يفكروا فى ان يضفوا هذه الصفة على أشخاصهم فى مجلتهم الخاصة التى انشئوها لتعبر عن آرائهم وابحاثهم .. بينما كانت لهم عند الناس مكانة مرموقة حتى لقد راحت الصحف تشيد بنشاطهم العلمى وابحاثهم الدقيقة ، فكانت الصحف تخلع عليهم من ألقاب التمجيد والتبجيل مالا حصر له

وكان من ابرز هؤلاء العلماء استاذان هما «بنزنجتون» و « ردوود » .. لمع نجمهما وارتفع شأنهما قبل ان تكلل جهودهما وابحاثهما بذلك الكشف الفريد الذى توصلا الى معرفته

كان « بنزنجتون » رئيسا لجمعية الابحاث الكيميائية بالاضافة الى تمتعه بزمالة الجمعية العلمية الملكية . أما

الاستاذ « ردوود » فكان يشغل منصبا علميا رفيعا ، فقد كان استاذا لعلم وظائف الاعضاء بإحدى كليات جامعة لندن ، وكانت له وجهة نظر خاصة فيإجراء ابحاثه بتشريح الحيوانات وهي حية ، انكرها عليه الرأي العام فراح الناس يندّدون به ويرمونه بأقذع السباب .. بيد ان بوادر المواهب كانت قد ظهرت لدى الرجلين منذ فجر شبابهما .. !

وشأن العلماء الذين يكرسون حياتهم للبحث سعيا وراء المعرفة دون أن يهتموا بمظهرهم او ملبسهم ، كان هكذا « بنزنجتون » و « ردوود » .. وأولهما كان قصير القامة تزين رأسه شعيرات قلائل حتى ليكاد يكون اصلعا ، يستعين على الرؤية بمنظار من طراز عتيق ، وينتعل حذاء ذا خروق ليتسلل منه الهواء الى اصابع قدميه المريضة ، وكان الثاني بسيط المظهر جدا . وقد عكفا على العزلة الى ما قبل توفيقهما الى الكشف عن الغذاء السحري ، بمنأى عن الناس ، ينفقان الوقت في ابحاثهما

ولمع نجم « بنزنجتون » بأبحاثه الرائعة في العناصر السامة ، وذاع صيت « ردوود » لسبب غير معلوم بالذات .. ولا عجب في ذلك ، فان ذيوع الصيت يولد ويتكون وينمو على مر الايام والسنين . ولعل صيته ذاع لذلك الكتاب الذي وضعه والذي حفل بكثير من الشئون الخاصة بحركات النبض ولابتكاره عديدا من المصطلحات العلمية

وكان ظهورهما امام الناس لماما ، فقد كان«بنزنجتون» يرى ، او بالاحرى يرى وجهه وهو يدلي ببحث او يلقي بضع فقرات يزعم انها محاضرة ، ويظن ان الناس ينصتون له ويستمعون اليه . واذكر انني فيما مضى ذهبت الى

مقر الجمعية العلمية ، وكان فى مدينة دوفر ، فى حانة بها، ودخلت المكان ، وسرت وراء سيدتين تبدو عليهما شيماء الوقار والاحترام وبأيديهما اشياء ملفوفة ، حتى وصلت الى حجرة « ردوود » المعتمة ، وصك اذنى صوت لعله كان صوت الاستاذ وقد اختلط بأزيز فانوسه السحرى، وصوت آخر تبينته بعد ان غمر الضوء الغرفة ، فاذا به صوت من جاءوا لمشاهدة الفانوس السحرى وهم يأكلون فى الظلام ما أتوا به معهم من طعام

وكان « ردوود » يتحدث ، ثم اطفئت الانوار فراح يقرع الشاشة بعصا ، فظهرت الصور من جديد .. وكان طوال الوقت متوتر الاعصاب ، ويبدو ان أمراً أخطر من ذلك واهم كان يستحوذ على افكاره .. كذلك كان هدف « بنزنجتون » من محاضراته ان يعرف الناس ما يعرفه

وفيما عدا دائرة العلم ، كان الرجلان عاديين كسائر الناس لا يفضلانهم معرفة بأمور الحياة ، وهو شأن كافة العلماء فى انحاء الدنيا .. فشعور العلماء بخطورة شأنهم يخلق فيهم الإحساس بالكراهية لامثالهم من العلماء ، اما حياتهم العادية فانها واضحة لاغموض فيها ، تتسم بالكثير من التصرفات الخرقاء

وطبيعة اعمال العلماء وابحاثهم تتطلب منهم ان يعيشوا فى نطاق محدود متفرغين لتلك الابحاث فى عزلة ، عزوفين عن امور الدنيا منصرفين عن اهلها .. ولايمكن ان ننكر بحال انهم دعائم الحضارة الانسانية بما اقاموه من علوم ارسوا قواعدها ، أنارت العالم وهيأت له مستقبلا مطرداً فى الارتقاء والازدهار

وانى لاعتقد ان اللمحة المبهمة التى تدفع من تجول بخاطره الى ان يكرس حياته منذ بكورتها ، ليست آلا

الهاما او وحيا يضيء له الطريق .. فيستبين ما هو بسبيله وما ينتظره من كشوف علمية تفيء على الدنيا بالخير وعليه بالعظمة والمجد

وقد وفق العالمان « بنزنجتون » و « ردوود » الى معرفة الغذاء السحرى ، وأدركا ما كان له من أهمية وأثر فى الحياة ، وما يتوقعانه من تطور فى المستقبل بسببه .. وقد اطلق عليه « بنزنجتون » هذه التسمية ، وهو فى حالة ذهول عندما فوجيء باكتشافه . وبعد أن مرت الوهلة الاولى بدأ الرجل يستعيد حواسه ، ورباطة جأشه ، ويدرك من العلاقات والآثار والنتائج ما اخفته عنه المفاجأة .. وعندئذ اشرقت اساريره وقال لصاحبه وهو يكاد يشرق بالضحك :

ـ أتعلم يا صاحبى ان هذا الاكتشاف الجديد ليس مجرد خطوة بريئة جبارة فى طريق المعرفة ؟

ـ ماذا تعنى ؟ ..

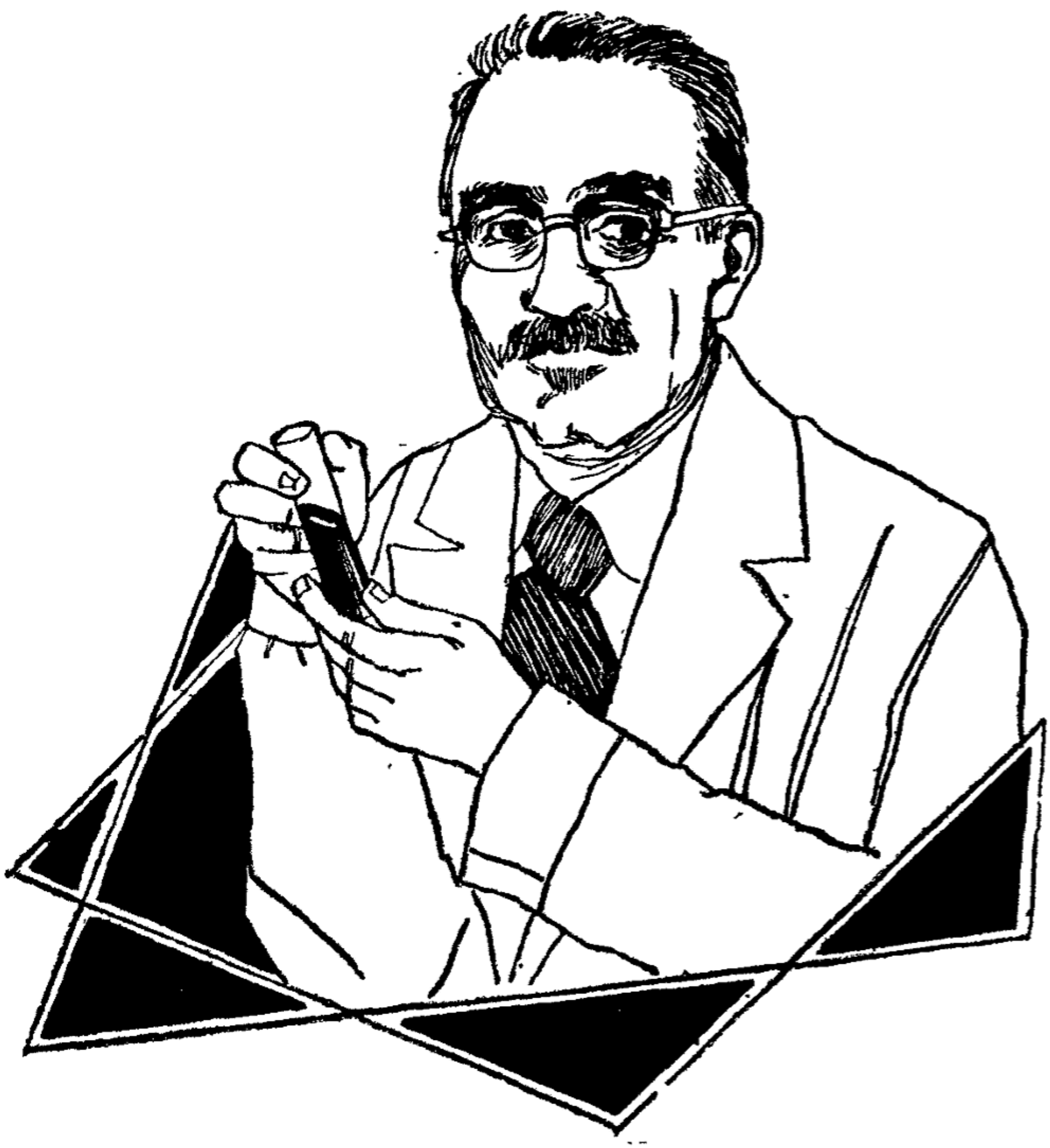
ـ اعنى يا صاحبى ان هذا الابتكار من الممكن بسهولة أن يتحول الى سلعة لها اخطر النتائج ، وتلاقى اعظم الاقبال ، وتطلب فى الاسواق بأعلى الاسعار !

ـ ولكنه وحده لا يكفى طعاما كما تعلم ..

ـ لست اجهل هذا ، ولكنه بلا شك يصلح عنصرا جوهريا فى تركيبات غذائية متباينة العناصر .. وليس امامنا الا ان نجعل طعمه مستساغا ومقبولا .. فان وفقنا لهذا كان نجاحنا عظيما .. !

الفصل الأول :

تجارب .. !



تجارب ..!

خطر لـ « بنزنجتون » أن يجرب عنصر ذلك الغذاء فى الضفادع الصغيرة ، فقد جرى العلماء على جعل هذه الحيوانات مزرعة لتجارب ابحاثهم ، واتفق مع «ردوود» على أن يقوم بنفسه بتلك الابحاث فى معمله المكتظ بهذه الضفادع

وابدت «جين» ـ ابنة عم «بنزنجتون» ـ تقززها من أن يجرى تجاربه تلك فى بيتها ، ورفضت أن يأتى اليه بحشد من تلك الضفادع وان كانت قد سمحت له بأن يجرى ابحاثه فى احدى حجرات بيتها على بعض المواد الكيميائية التى لاينجم عنها خطر ما مستعيناً بما يحتاجه من الادوات التى تلزمه ، فقد كان يبهجها ان يذيع صيته وأن يتألق نجمه فى الاوساط العلمية ، لأن ذلك على أى حال خير مما لا جدوى من ورائه كالنزق وادمان الشراب

ولم يفلح فى اقناعه لها بما يتوقعه لتجاربه من شأن وفوائد ، ولم يستطع صرفها عن معارضتها وتقززها من رؤية الضفادع ـ وهى تتعذب من تلك التجارب، أو تصدر عنها روائح منفرة كريهة عند موتها ـ متعللة بأن ذلك له اسوأ الاثر من الناحية الصحية . وذكرت له ان اصراره على المضى فى تلك الابحاث عندها ـ سعيا وراء المعرفة ـ لا يبرر السماح بوجود الضفادع فى بيتها ، وانه اذا كان يسعى وراء ذيوع صيته وتخليد اسمه ، فانه بجانب ذلك

قد يفقد صحته لوجوده مع تلك الحيوانات . وعندما ذكر لها أن الكلمة الاخيرة له وأن له ان يفعل ما يشـــاء ، جابهته بقولها انها تفضل ان تترك البيت لتـرعى اطفالا آدميين فى مدرسة على ان تضطر الى العنـاية بحيوانات قذرة ، وطلبت اليه أن يعدل عن ذلك مؤكدة له إنهـا لن ترضخ لمـا يريده . وعندئذ أذعن لمشيئتها ولكنه قسا عليها فى القول ، واذ آلمها ذلك عاد فطلب عفوها

وأخيرا فكر فى البحث عن مـكان آخر ليجرى فيـه تجاربه ، ولاح له ان ينشىء مزرعة لهذا الغرض ، وخطر له ان يستبدل الضفادع بالدجاج ، لأن الدجاج نوع من الطيور لا يتقزز منه المرء . وقال لنفسـه انه لو كان قد فكر فى هذا الامر من قبل لوفر على نفسه عناء مشاحنته مع ابنة عمه

ووافقه « ردوود » على تلك الفكرة واستصوبها ، لأنه هو شخصيا يجرى تجاربه على العجول لكبر حجمهـا وسهولة رؤية آثار التجارب وتبين أخطائها . وقد شغلت تجاربه هذه جل وقته ، ولذلك عهد الى « بنزنجتـون » بالبحث عن المزرعة الملائمة ودفع جميـع نفقاتها الى ان يحصل على معونة مالية

وأعلن « بنزنجتون » فى المجلة العلمية عن حاجته الى مزرعة فسيحة للدجاج ليستأجرها ، وعن زوجين ليشرفا على تربية الدجاج . ووجد ضالته الاولى فى ضاحية من ضواحى « كنت » ، فى بقعة تحيط بها وتظللها أشـجار الصنوبر الضخمة ذات المنظر الرهيب فى الليل ، فى بيت يبعد بحوالى ميلين عن الضاحية ، وكان ذلك البيت قديما بليت نوافذه وبه بئر مهجورة

وراقت تلك المزرعة لـ « بنزنجتـون » ، فأخذ يرتب

شئونه فيها ، ثم عاد الى لندن وأعد مقـــدارا من عنصر الغذاء السحرى ليبدأ به تجاربه . ووجد ضالته الثانية فى شخصين مسنين شديدى القذارة ، فتعـاقد معهما ، وكانا قد ابديا بعد اطلاعهما على الاعلان عن رغبتهمـــا فى العمل . ولم يتنبه « بنزنجتون » لقذارتهمـــا المفرطة لانشغال افكاره فى دائرة ابحاثه . وكان اسماهما مســتر ومسز « اسكنر » والسيدة ضئيلة الجسم ذات شـعر ابيض علته القذاره ، عصبته حتى لا يتدلى ، ولهـا إنف دقيق هو كل ما بقى لها من علامات الشباب ، وقد تغضن وجهها وسقطت اسنانها الا واحدة تتعثرفى الكلام بسببها ، وترتدى جلبابا رثا لا يمكن تمييز لونه . وقد استقبلت « بنزنجتون » فى حجرتها وراحت تحدثه فى حــذر وهى ترمقه ، وقالت له ان مستر « اسكنر » يستكمل زينته لكى يستقبله ، كما ذكرت ان لها خبرة عظيمة بتـــربية الدجاج اذ انها مارستهذا العمل سنين كثيرة ، وانهكان لهما مزرعة ولكنهما افلسا وضاقت بهما سبل العيش . وأخيرا حضر مستر « اسكنر » فاذا هو شيخ ضخم الوجه وفى عينيه حول ، يرتدى سترة ليس بها ازرار . وقال مستر « اسكنر » بعد أننظر الى « بنزنجتون » فى تهيب ووجل :

ــ اغلب الظن انك لا تهدف الى الكسب من المزرعة .. وان كان هذا لا يعنينى .. والارجح انها بقصد اجـــراء التجارب

وابدى مستر « اسكنر » استعداده ورغبته فىتوجههما للعمل بالمزرعة من فورهما لخلوهما من العمل

وبعد اسبوع كانا فى المزرعة ، حيث وجدا هناك نجارا كلفه « بنزنجتون » بانشاء الحظائر والاخنـــان اللازمة .

فقال مستر « اسكنر » للنجار :

لم يسبق لى رؤية هذا السـيد من قبل .. بيد انه يبدو لى انه على جانب كبير من البلاهة .. !

فأجابه النجار :

ـ اظنه ابله الى حد ما .. !

ـ أليس اختياره تربية الدجاج دليلا على ذلك ؟

ـ انه يشبه الدجاجة بهذا المنظار الذى يضـعه فوق عينيه !

ولمعت عينا مستر « اسكنر » فى خبث وهو يتطلـع بعينيه الى القرية البعيدة ، ثم اقترب من النجار وقال فى همس :

ـ ألا يدهشك ان تعلم انه يعتزم ان «يقيس» الدجاج كل يوم واحدة واحدة ليعرف مبلغ نموها .. اسـمعت بمثل هذا من قبل ؟

واستغرق مستر « اسكنر » فى الضحك ، وقد وضع يده على فمه وأخـذ يهز كتفيه فتهتز جميع أعضـاء جسمه . وجال بذهنه ان النجار لم يفهم كلامه ، فعـاد يهمس فى اذنه قائلا : يقيس .. يقيس ، فقال النجار :

ـ تبا له من رجل..إنه أشد سوءا من حاكمنا القديم

النتائج الاولى

مامن شك فى ان الابحاث والتجارب من الاعمال المضنية التى تحتاج الى همة ومثابرة وصبر . وكانت النتائج الاولى التى حصل عليها « بنزنجتون » ضئيلة بطيئة ، حتى لقد كاد يصيبه اليأس فى آماله ، وتبين له من تجاربه أن العناصر ا ، ب ، ج لم تؤت الثمرة المرجوة منها . وقد لاقى هو

و « اسكنر » وزوجته الـكثير من العناء بسبب الجرذان المنتشرة فى المزرعة ، وكثيرا ماهدد « اسكنر » بالطـــرد لاهماله ، بل كان يطرده فعلا فكان هذا يستعطفه

ولاحت أولى بشائر النجاح حين كتب « اسكنر » لـ « بنزنجتون » يقول :

« واخيرا أفرخ الدجاج ثانيا .. ولعله يسرك أن تعلم ان النتاج فى هذه المرة مفرط فى النماء بشكل ملحوظ على خلاف النتاج السابق ، وذلك بفضل حسن ارشادكم .. وانه وان كان النتاج الاول الذى اختطفته القطط بضا يبهج النظر بجمال شكله ، الا ان النتاج الجديد ينمو حثيثا طويل السيقان .. ينقر الارض بقوة لاتتناسب مع سنه الصغيرة ، ويقبل على الطعام فى نهم حتى لاراني مضطرا الى القول بأننا بحاجة الى مزيد من الطعام لمواجهة هـذا الاقبال .. وانه لنتاج جدير بأن يعرض فى أحد المعارض اذا استمر نموه على هذا النحو .. ويسرنى أن أخبرك ان عينى لاتكف عن مراقبة هذه الصغار خشية أن تفتك بها القطط .. وأرجو ان تخبرنى عما اذا كنت أستمر فى اطعامها بذلك الغذاء الذى خلطته وأعددته بنفسك والذى كاد ينفد .. وانى أخشى ان أقوم بخلط طعام اخر خشية أن أقع فى خطأ مثلما حدث فى الحلوى ..

« تشاركنى زوجتى فى ازجاء امانينا الطيبة ، ولانبتغى سوى أن تشملونا بعطفكم »

المطيع لاوامركم

« الفرد نيوتن أسكنر »

وكان « اسكنر » يقصد من تنويهه عن الحلوى الىاللبن الذى تناوله هو وزوجته الذى كان مخلوطا بالعنصر ب والذى كاد يودى بحياته وحياة زوجته ..

وطار « بنزنجتون » فرحا عندما قرأ الرسالة ، وأعاد قراءتها أكثر من مرة ، وأيقن من تحقيق آماله وأحلامه ، وبادر الى السفر فى صبيحة اليوم التالى الى المزرعة حاملا معه مقدارا وفيرا من الغذاء السحرى . وكان الجو ربيعا صافيا ، فرأى « بنزنجتون » ان يسير على قدميه من المحطة الى المزرعة غير مبال بآلام قدميه . وأخذ الهواء يداعب أوراق الاشجار ، كما راحت الاغصان والازهار تتمايل ، يشجيه تغريد العصافير ، ورأى بعض الغزلان الصغيرة تنشد الماء فى البركة القائمة فى طرف البستان

وايقظ جمال هذه المناظر مشاعر «بنزنجتون» فأهاجت ذكرى مباهج شبابه ، وجسمت له ماينتظره من وراء تحقيق آماله ، فشعر بأنه يعيش فى أسعد يوم من ايام حياته

وبلغ المزرعة وراقب النتاج فى الحظيرة المشمسة ،ورآه يلتهم الطعام الذى أعده وخلطه بنفسه ، ولاحظ أن حجمه يعادل حجم الدجاج الكبير رغم صغر سنه ، وأن أمام ذلك النتاج مزيدا من اطراد النمو اذ ان بعض الزغب كان لايزال بأجسام ذلك النتاج ، فأيقن من نجاح تجاربه واستشعر السعادة المقبلة

ودخل « بنزنجتون » حظيرة الدجاج فنقرته فى ثقوب حذائه ، فأسرع بالخروج وأخذ يرقبها من خلف الاسوار وخيل إليه انه لم ير دجاجا مثل هذا من قبل . وقال له مستر « اسكنر » :

ــ لا أتصور كيف يكون هذا الدجاج عندما يكتمل نموه ياسيدى !

فأجابه « بنزنجتون » قائلا :

ــ ستكون الدجاجة بلاشك فى حجم الحصان !

ـ انك تبالغ ياسيدى

ـ بل سيكفى الجناح الواحد لاطعام أسرة بأكملها ، يقسم الى أجزاء كما يقطع الجزار شريحة كبيرة من اللحم !

ـ اننى أشك فى اطراد هذا النمو ياسيدى

ـ هل تظن ذلك ؟

ـ بل أعتقد ياسيدى ... فهذا النمو الى حين

وصمت « أسكنر » قليلا ، ثم قال :

ـ بيد أننا نبذل جهودا مضنية انا وزوجتى فى العناية بالدجاج

وتفقد « بنزنجتون » أرجاء المزرعة ، شأنه فى كل مرة يحضر فيها اليها ، وبدا له أنه حظى بنجاح لم يكن يتوقعه بعد سنة واحدة من تجاربه ، وأخذ يسير فى المزرعة جيئة وذهابا ، ثم قال :

ـ رغم أن الفرخ منها لايتجاوز عشرة أيام فان حجمه يبلغ خمسة أو ستة أمثال حجم الفرخ العادى

وفى هذه اللحظة همس « اسكنر » لزوجته فى خبث :

ـ لقد آن الاوان لان اتمرد .. ان السيد جد مغتبط بالنتاج .. ويظن أنه من فعل غذائه السحرى !

قال « إسكنر » ذلك وهو يكتم ضحكة كادت تنطلق من فيه

وكان «بنزنجتون» سعيدا حقا ، حتى لقد الهاه ذلك عن ملاحظة اهمال « اسكنر » وزوجته ، والتزم اللطف فى معاملته

وعلل « اسكنر » تحطم بعض الاسوار بأنه نتيجة محاولة من ثعلب أو كلب ، كما عللت زوجته عدم نظافة

المحضن بضيق الوقت وكثرة العمل . وحين لمحت عينا « بنزنجتون » جحور الجرذان فى الطابق العلوى ، طلب اليه « اسكنر » شراء مصيدة . ولاحظ « بنزنجتون » كذلك عدم نظافة حجرة خلط الطعام وعدم ترتيبهاووجود أطباق مكسورة وصناديق مكدسة وتفاحا فاسدا بهـا ، وجلود أرانب معلقة على حوائطها ، فقال له « اسكنر » انه خبير بشئون الفراء

وتضايق « بنزنجتون » من هذه الفوضى ، ولكنه آثر عدم توبيخ « اسكنر » وزوجته على اهمالهما ، واكتفى بأن لفت نظرهما حين رأى اناء مليئا بالعنصر يتقلب فيـه صرصور ، منبها بضرورة تغطية هذا العنصر بغطاء حتى لايتأثر ويتلف من الرطوبة والهواء . ثم قال فجأة :

ـ سنذبح واحدا من هذا النتاج يا « اسكنر » مساء اليوم ، وسأحمله معى الى لندن لتزداد معرفتنا . . وليكون برهانا ساطعا على ما للغذاء السحرى من أثر فعال . .

وصمت « بنزنجتون » قليلا ، ثم استطرد يقول :

ـ انك ولاشك لاتعطى الدجاج الصغير شـيئا من اللحم ؟

فأجابه « اسكنر » على الفور :

ـ كلا . . كلا ياسيدى . . ان خبرتنا بتربية الدجاج لاحد لها . . لا يمكن ان نفعل شيئا كهذا

فعاد « بنزنجتون » يقول :

ـ هذا جميل يا « اسكنر » . . مامن شك فى أنكم لاتلقون الى الدجاج بفضلات طعامكم ونفايته . . لقد رأيت عظاما ملقاة فى أحد اركان الحظيرة . .

بيد أنه تبين حين اقترب منها انها عظام قطة انتزع لحمها

***

ذهلت « جين ــ ابنة عم « بنزنجتون » ــ حين وقع نظرها على الفرخ الذى جاء به ، فهتفت :

ــ لا أصدق ان هذا فرخ !

ثم أردفت فى غضب :

ــ أترانى لا أعرف الفرخ أو أميزه .. هذا حيوان آخر هائل .. ولعلك معى فى أنه ليس فرخا !

واراد « ردوود » ان يعلق على الامر قائلا :

ــ علينا ان نستعرض الشواهد لنرى ..

فقاطعته « جين » قائلة :

ــ احكم بعينيك وعقلك ..

فعاد « ردوود » يقول :

ــ ولكنه الامر الواقع يا آنستى ..

فقاطعته « جين » ثانيا بقولها :

ــ هكذا انتم ايها الرجال .. كلكم سواء ..!

فقال « ردوود » :

اننى لا أنكر أن هذا أمر خارق .. ولكن الفرخ خرج بلاشك من بيضة دجاجة .. وأنه فى رأيى فرخ من نوع خاص ..

ــ أتعنى انه فرخ حقا !؟

ــ أرجح أنه ذلك ..

ــ هذا هراء .. انى أعجب واضيق بأمرك يا مستر « ردوود »

ثم اشاحت عنه بوجههـــا ، ونهضت من فورها وغادرت الحجرة

وصفقت بابها بشدة . وقال « ردوود » ل «بنزنجتون» بعد قليل :

ـ ان رؤيتى لهذا الفرخ ستريحنى من كثير من المتاعب

ثم جلس دون أن يدعوه « بنزنجتون » الى الجلوس ، وصارح « بنزنجتون » بأنه أقدم على فعله بـــلا روية أو تبصر ، فقد خلط قليلا من ذلك الغـــذاء بطعام أحـــد الاطفال منذ أسبوع .. فاعترض « بنزنجتون » على ذلك ، ولكن « ردوود » فهم مغزى اعتراضه ، واستدرك قائلا :

ـ ليس ذلك خافيا عنى .. ولـــكن الله لطف .. كان وزن الطفـــل لا يزداد .. فقلق والده « ونكلز » ـ وهو أحد تلاميذى ـ ولم يكن يسمح لى بدخول حجرة الطفل، فتسللت خلسة الى الحجرة منتهزا انشغال المربيةبافطارها وأخذت زجاجة اللبن ..

فقال « بنزنجتون » :

ـ سينمو الطفل بلاشك ..

ـ هذا ماحدث فعلا فقد زاد وزنه بصورة ملحوظة .. ويذكر « ونكلز » أنه يجد مشقة فى تربيته

ـ تماما كما يقول « اسكنر » ..

وعاد « ردوود » يقول بعد ان القى نظـــرة أخرى على الفرخ :

ـ ان مايعترضنى هو كيفية التسلل الى الحجرة ،فانهم يرتابون فى وجودى بها بمفردى .. ولا اعرف كيفالسبيل الى اعطاء الطفل جرعة أخرى .. فهو لاينقطع عنالصراخ منذ يومين .. ولعل الطعام العادى لايشبع جوعه .. انه الان بحاجة الى جرعة ثانية ..

ـ يمكنك ان تصارح « ونكلز » بذلك ..

ـ تبا له !

ـ اذن بوسعك ان تلجأ الى الحيلة .. بأن تعطى«ونكلز» قدرا من المساحيق وتخبره انه غذاء صحى وطيب للطفل

ولاح على « ردوود » أنه اقتنع بهذه الفكرة ، وانه يعتزم تنفيذها

وعاد « بنزنجتون » الى التحدث عن دجاجه ، ذاكرا ان الامر سيكون حدثا عظيما يذاع بين الناس ، وفجأة التفت الى « ردوود » وقال :

ـ لا شك أن هذا سيكون شأن الطفل الصغير ..

ـ هذا مايشغل بالى حقا .. وانى لافكر فى أمر هذا الغذاء السحرى

ـ انى أتوقع للطفل ضخامة خارقة

ـ اذن فسأعمل على الاقلال من كمية الجرعات تدريجا ..

ـ انك أقدمت على تجربة على جانب كبير من الخطورة .. ولكنها على كل حال تجربة لابد من اجرائها على طفل ما

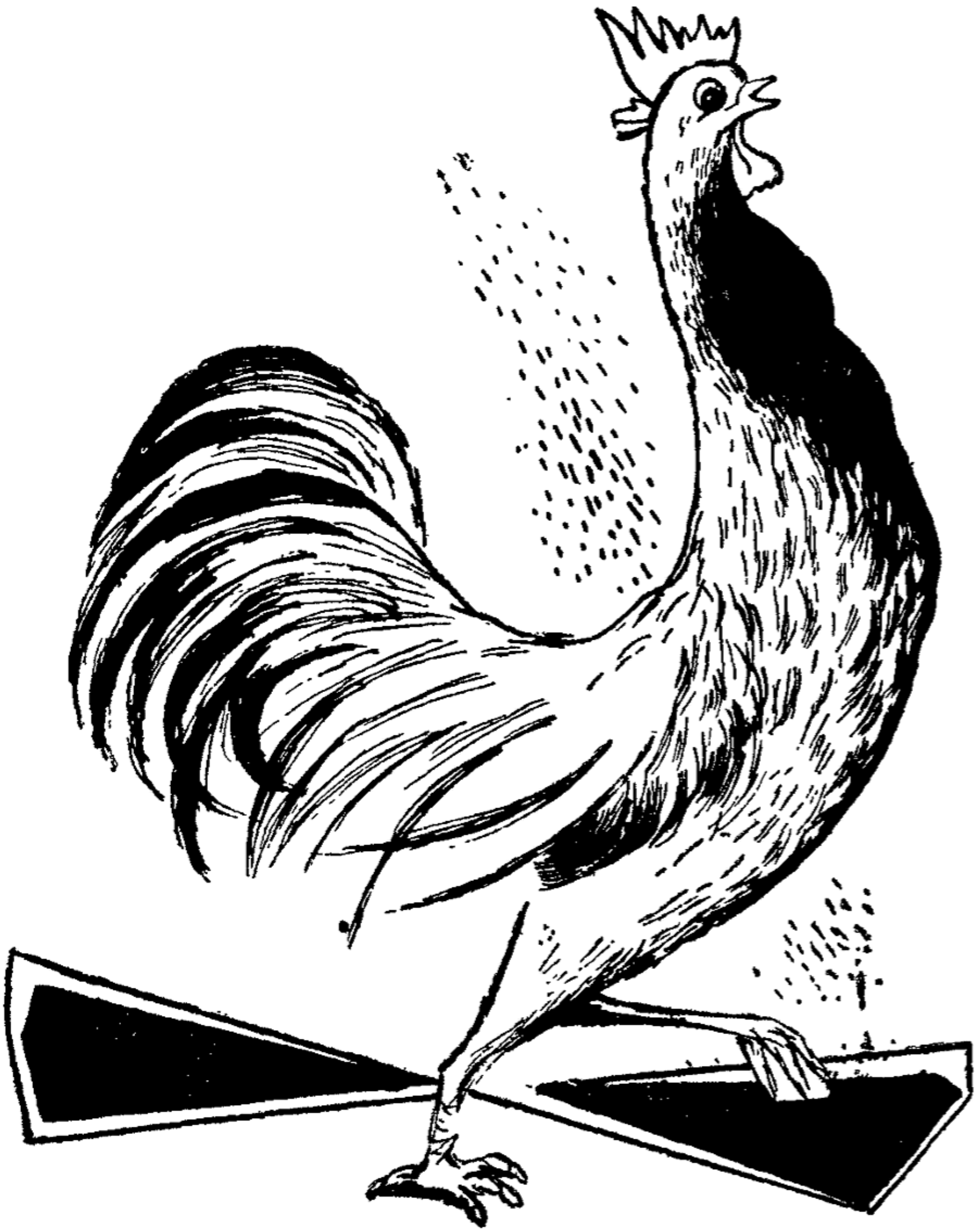
ـ أعتقد ذلك ..

ـ اصارحك يا « ردوود » أنى ما كنت اتوقع لتجاربى هذا النجاح المنقطع النظير .. ولا هذه النتائج الباهرة .. ولهذا أرانى أطيل التفكير الان فيما عساه أن تتمخض عنه هذه التجارب ..

لم يكن « بنزنجتون » فى الحقيقة يدرك حتى هذه اللحظة آثار بحوثه وتجاربه

الفصل الثانى :

عمالقة من الزنابير والدجاج !



عمالقة من الزنابير والدجاج

توهم « بنزنجتون » أنه أصيب بزكام حاد ، فحال ذلك دون تردده على المزرعة لبضعة اسابيع : واضطر «ردوود» ان يتوجه اليها فى زيارة خاطفة ، عاد منها والقلق باد عليه . وانقضت ستة أسـابيع كانت الافراخ أثنـاءها لاتتوقف عن النمو ، الى ان حدثت مشكلة الزنابير التى قتل أول واحد منها قبل أن يفر الدجاج هربا من فتك الزنابير بها

وتناقلت الصحف تلك الانباء ، على أنه لا يمكن الجزم بأن ذلك الامر قد وصل الى علم « بنزنجتون » ، وعما اذا كان قد ادرك الصلة بينه وبين الفوضى والاهمال اللذين عما مزرعته

بيد ان تفصيل الامـر أنه بينما كان « اسكنر » يقدم العنصر «د» من الغذاء السحرى للدجاج فى اهماله المعهود فيه ، راح عدد من الزنابير ينقل بعض هذا الطعام الى صغاره التى أفادت منها . وليس بخاف ان الزنابير أسرع من الدجاج وغير الدجاج نمـوا . وترجع حظوة الزنابير بذلك الغذاء السحرى الى اهمال « اسكنر » وزوجته ، فصارت تلك الزنابير لهذا السبب من طلائع المخلوقات التى ذاع أمرها وعظم شأنها عند التحدث عن عمالقة المخلوقات

وحدث أول صراع بين أحد تلك الزنابير وبين حارس فى مزرعة يدعى « جودفرى » ، حين كان يخوض أحـد

المستنقعات حاملا بندقيته ، وأبصر حيوانا هائلا مقبلا نحوه لم يتبين حقيقته فى أول الامر وان راح طنينه يصم أذنى الرجل ، واستولى عليه الهلع ، وأدرك انه ليس طائرا عاديا فأطلق عليه بندقيته دفاعا عن نفسه ، ولكن ارتياعه جعله لا يصيب الهدف ، فهبط الحيوان الى الارض محنقا دون ان يتوقف عن طنينه المزمجر ، وقد عرف الرجل أنه طنين الزنابير . وعاد الحيوان الى الطيران ، فتبين « جودفرى » تقاطيع جسمه كما تبين حجمه الهائل وهو مقبل لمهاجمته ، فأطلق عليه طلقة ثانية ثم القى بندقيته وجرى الحيوان يتبعه ، فانحنى ليتفاداه . وأخيرا رآه يسقط وهو يتلوى من الالم ويلدغ الارض بابرته ، فقضى عليه بطلقتين .. ثم اقترب منه فوجده هائل الحجم تبلغ المسافة بين طرفى جناحيه ثلاثين بوصة ، وطول ابرته ثلاث بوصات ، وقدر طول الحيوان بعشرين بوصة

ورأى رجل آخر كان يركب دراجته احد هذه الزنابير الضخمة ، يغلب على الظن ان صوت الدراجة أزعجه فأرسل طنينه المزعج الذى ارتاع له الرجل فهبط عن دراجته وجلا ، ثم عاود السير مرتعدا

وحدث أن اختفت تلك الزنابير ثلاثة ايام بسبب برودة الطقس ، وحين أشرقت الشمس واعتدل الجو ظهرت تلك الزنابير أفواجا وتسببت فى عديد من الحوادث ، منها ان صاحب متجر كان يضع امامه وعاء به سكر فهبط عليه احد هذه الزنابير ، واراد الرجل ان يقتله بمجرف ولكن الحيوان لدغ قدم الرجل رغم انتعاله نافذا بابرته خلال حذائه .. ومع ذلك استمر يضرب الزنبور حتى مات ولكن الرجل قضى أيضا بعد قليل

وحط أحد الزنابير فوق مبنى شامخ ، وانقض على

حمامة وادعة كانت هناك ، اختطفها ولاذ باحدى الشرفات ليلتهمها ، وبعد ذلك دلف الى قاعة المبنى وأرسل طنينه المزعج فبث الرعب فى نفوس من بالقاعة ، ثم خرج ثانيا ..

وكذلك قابل سرب من هذه الزنابير بعض شبان كانوا فى رحلة ، فاستولت الزنابير على ماكان معهم من حلوى .. كما فتك بعضها بكلب صغير امام صاحبته

وامتلأت أعمدة الصحف بأنباء الزنابير · وحين غادر « ردوود » الكلية عقب اجتماع صاخب بشأن العجول وأثمانها ، ابتاع صحيفة ما أن تصفحها حتى شحب وجهه ونسى كل ماكان يشغل فكره وهرول الى منزل «بنزنجتون»

***

كان الشخص الذى وجده « ردوود » فى منزل « بنزنجتون » هو ذلك الرجل العجيب « اسكنر » الذى راح يضايقه بثرثرته ويقول له :

ـ لم يعد فى استطاعتنا ياسيدى أن نستمر فى العمل بالمزرعة .. كنا نأمل فى تحسين الحال واصلاح الامور .. ولكنها كانت تتغير من سىء الى أسوأ .. ولم تكفنا الزنابير وأذاها فاذا بالنمل الذى لا يقل ضخامة عن الزنابير يهاجمنا .. حتى أن زوجتى كان يغمى عليها كلما أبصرت ذلك النمل .. أضف الى هذا ياسيدى ذلك القراص اللاذع الذى راح ينمو هو الاخر بشكل مرعب .. وحتى النبات الزاحف الذى يتسلل خلال النوافذ بأشواكه وطوله يقارب طول الانسان .. ان السبب فى كل ذلك يا سيدى هو هذا الغذاء الذى حيثما سقط قليل منه على الارض نما كل كائن ـ حيوانا ام نباتا ـ نموا هائلا .. حتى لم يعد فى استطاعتنا ان نبقى هناك يوما بعد الآن ، فنحن مهددون

بالزنابير والنمل والنباتات الزاحفة .. ليتك يا سيدى تتصور ما نحن فيه من ارتياع .. ليتك ترى هذه المخلوقات المروعة ..

وتوقف «اسكنر» قليلا ، وأخذ يحدق فى « ردوود » ثم استطرد يقول :

ـ ولا يعلم سوى الله ما يئول اليه الحال حين يصل هذا الغذاء الى الجرذان ... حينئذ تكون الطامة الكبرى .. لقد مرت بنا ايام عصيبة بعد ان رأينا النمل وقد صار فى حجم سرطان البحر .. والنبات الذى يزحف علينا فى وحشية وطنين الزنابير الكبيرة .. فما أن اجتمعت كل هذه المصائب حتى ادركت السر فى كل ذلك .. فأردت أن انجو بنفسى .. فحضرت من فورى ... ولا أكون مبالغا اذا قلت أن القلق يكاد يقتلنى حتى وأنا هنا .. ولا أعلم مصير زوجتى ، فان النباتات هناك كأنها أفاع لا يسعك الا ان تهرب منها .. والنمل والزنابير يزداد نموها ويطرد ، وليس لدى زوجتى دواء اذا حدث ان اصابها شىء ..

وما أن انتهى من ثرثرته تلك حتى بادره « بنزنجتون» بسؤاله :

ـ ولكن ما ذنب الدجاج ؟ .. كيف سمحت لك نفسك أن تتركه ؟

ـ لقد وضعت لها الطعام حتى أمس .. اما اليوم فلم استطع اطعامها ، اذ روعنى صوت الزنابير التى كانت تحلق فوقنا افواجا .. فاضطررت الى ان احضر لمقابلة سيدى لاوضح له الامر .. وطلبت الى زوجتى أن تبقى وأن تغلق على نفسها النوافذ الى أن أعود ..

فقال « ردوود » :

ـ لو لم تكن مهملا فى هندامك بهذا الشكل .. لـ ..

فقاطعه « أسكنر » قائلا :

ـ ليس هذا مجال الحديث عن الهندام .. ان قلقى على زوجتى يكاد يقتلنى ، ويعطل قدرتى على الجدل والنقاش .. اننى أفكر الان فى الجرذان .. لعلها لم تهاجم زوجتى فى لحظتنا هذه ..

فسأله « ردوود » :

ـ أريد معلوماتك عن الدجاج ؟

ـ الاضطراب يشل تفكيرى من هول مارأيناه .. ان الدجاج ينمو بصورة خارقة للمألوف .. وكذلك النمل والزنابير وحتى النبات الزاحف ..

فقال « ردوود » لـ « بنزنجتون » :

ـ لقد أدلى بما فيه الكفاية .. فماذا نحن صانعون ؟

وقبل أن يجيب « بنزنجتون » قال « اسكنر » :

ـ قبل ذلك اريد ان أعرف مصيرى ومصير زوجتى !

فأجابه « ردوود » قائلا :

ـ عليك أن تسرع الى زوجتك .. فليس من الحكمة أن تتركها وحيدة بالليل !

فعاد « اسكنر » الى الثرثرة ، ولكن « ردوود » جسم الامر بقوله :

ـ ستأوى الزنابير الى أوكارها فى الليل وسيرحل النمل عن طريقك ..

ـ والجرذان ... مارأيك فيها ؟

ـ ليس هناك جرذان

لم تبق مسز « اسكنر » فى مكانها طول الوقت ، ومن ثم كان فى وسع « اسكنر » ألا يقلق . وما أن وافت الساعة الحادية عشرة حتى أخذ النبات الزاحف يمتد فوق الجدار ويتسلل من النافذة فيزداد الظلام فى الحجرة ، حتى أيقنت مسز « اسكنر » باستحالةالبقاء فيها ، واستشعرت غياب زوجها ، فأخذت تطل من خلال أغصان النبات الذى كسا النافذة ، وفتحت باب الحجرة وراحت تنصت ، ثم ارتدت ثيابها وتفقدت جوانب حجرة النوم ، حتى أسفل السرير ، وبعد ذلك أغلقت الباب من الداخل وأعدت نفسها لمغادرةالمزرعة . وكانت بضعة من الاغصان التى قطعها زوجها ليتمكن من اغلاق النافذة لاتزال ملقاة على الارض ، فحزمت ملابسها فى ملاءة كبيرة ، ووضعت بها كل مااعتقدت أنها بحاجة اليه ، حتى سترة زوجها المصنوعة من المخمل القطنىالتى يعتز بها ويرتديها وقت الراحة ، لم تنسها .. وكذلك أخذت اناء مغلقا به طعام مملح ، وليس عليها فى كلذلك تثريب ، ولكن العجب كل العجب أنها أخذت معها صندوقين مملوءين بالعنصر . مما كان « بنزنجتون » قد أحضرها معه فى آخر مرة جاء فيها الى المزرعة . ولما كانت مسز « اسكنر » سيدة طيبة وجدة فى الوقت نفسه ، فقد كان قلبها يقطر ألما وحسرة لذلك الغذاء الجيد الذى يذهب هباء فى اطعام حفنة من الدجاج التافه

وانتهت مسز « اسكنر » من حزم أمتعتها فارتدت قبعتها وتناولت مظلتها وأكملت زينتها ، وأنصتت فترة من الوقت عند الباب والنافذة ، ثم انطلقت خارجة الى

الخلاء المملوء بالمخاطر حاملة الحزمة بكلتا يديهاومتأبطة مظلتها . وكانت على جانب كبير من العزيمة بحيث آثرت الفرار من ذلك المكان ، برغم الاخطار التى تحف بهـــا فى الخارج ، اذ كانت قد ملت البقاء وحيدة فى عزلتهـــا تلك وقالت لنفسها : « ليأت مستر (اسكنر) اذا راق له ذلك »

ويممت شطر القرية التى تقيم فيها ابنتها المتزوجة، بعد أن خرجت من الباب الامامى لتعذر الخــروج من الباب الخلفى بسبب ماتراكم عليه من النبات الذى نمـــا بعد أن وقع منها بعض الغذاء السحرى عند جذوره .ثم أغلقت الباب الذى خرجت منه وانطلقت فى الطريق ، ولم تنس أن تودع المكان بنظرة أخيرة

ورأت على سفح التل وراء أشجار الصنوبر الممتـــدة بقعة سوداء ، وكان هذا المكان وكر عمالقـــة الزنابير ، فراحت تحدق النظر متفحصة ، وكان الوقت صـــباحا توقفت فيه حركة الزنابير ، فران السكون على المــكان ، ولم يصادفها ذلك النمل الكبير . وان كانت قد لمحت شيئا يتحرك فى حقل الكرنب ، وخيل اليها أنه قط برى يحاول اصطياد بعض العصافير

ثم تقدمت بضع خطوات وبلغت حظيرة الدجاج فعجبت لضخامته ، وكان كله من الاناث بعد أن اقتتل الديـــكان وماتا . وأخذتها الشفقة حين رأت ذبول الدجاج بسبب الحرمان من الغذاء والماء منذ أربع وعشرين ساعة ،مع نهمه الى الطعام .. وراحت تفكر ، وغلبتها الرحمة ، فألقت حزمتها ومظلتها على الارض ويممت شطر بئر أتت منه ببعض الماء أفرغته فى اناء الدجاج ، فتجمـــع حوله ، وعندئذ غادرت الحظيرة بعد أن أغلقت بابهـــا ،

ثم حملت حزمتها ومظلتها ، واخترقت طريقا لا تلتقي فيه بالزنابير ، ويممت صوب ابنتها

وأنهكها التعب من صعود التل ، فأخذت تتوقف عن السير بين الحين والحين لتنال قسطا من الراحة ولتستعيد قواها . ورأت عندما اقتربت من قمة التل بعض الزنابير تنطلق بعيدا عنها ، فاطمأنت وعاودها النشاط

وتقدمت فى السير وقطعت فيه شوطا طويلا الى ان بلغت طريقا تظلله الاشجار اطمأنت الى السير فيه واستشعرت أمنا وسلاما ، ثم وصلت الي تلال يكسوها الكلأ ، فجلست مستظلة بشجرة فيها لتنال بعض الراحة . ثم عاودت المسير منحدرة من فوق التلال فى نشاط وعزيمة لا تعرف الكلل ، حاملة حزمتها ومظلتها فى ذلك اليوم القائظ لا تلوي على شيء . وكم من مرة كادت مظلتها تفلت من يدها بسبب اشتداد الريح ، فكانت تشدد عليها قبضتها كما تشددها على حزمتها . وكانت تحدث نفسها بما تزمع أن تقوله لزوجها

وأخيرا لاح لها برج ، فعرفت أنها أضحت قريبة من بيت ابنتها فى تلك القرية النائية البعيدة عن صخب العالم وضوضائه ، غير مكترثة فى قليل أو كثير بما تحمله معها من ذلك الغذاء السحرى الذى اهتمت بأخذه لاحفادها

معركة الدجاج

وصل الدجاج الى قرية هكليبراو ، حوالى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر ، فكان مقدمه موضع دهشة بالغة لدي أهل الضاحية ، خاصة أن أحدا منهم لم يكن

مارا بالطريق فى ذلك الوقت ليعلن عن مجىء الدجاج .. وانما أعلن عن ذلك فى صورة مفزعة طفل يدعى «اسكليمر زديل » ، أمسكت به دجاجة من ذلك الدجاج الضخم فلجأ الى الصراخ ، ورأته مس « درجان » العاملة في مكتب البريد بين منقارى الدجاجة ، تجرى به فى سرعةشديدة ومن خلفها دجاجتان أخريان تتبعانها

ورغم أن « بنزنجتون » كان يربى دجاجه فى تكتم ، وقد حرص الا يذيع أمره بين الناس ، فان أخبارا تناهت الى القرية عن ذلك الدجاج الضخم الذى يتعهد تربيته « اسكنر » .. لذلك لم تكن رؤية الفتاة للدجاجمفاجأة، اذ قالت :

ـ ذلك ماكنت أتوقع حدوثه !..

ويبدو أن الآنسة تصرفت بحكمة حين أمسكت حزمة الخطابات بيدها وهرولت الى الشارع ، فى الوقت الذى كان فيه والد الطفل يندفع أيضا فى الشارع وقد أمسك وعاء به ماء ، وهو شاحب الوجه يرتعد وجلا .. وكأنما سرى الخبر فى القرية مسرى الكهرباء ، فراح كل فرد يتدافع الى النوافذ والابواب

كذلك يبدو أن الآنسة أزعجت الدجاجات باقتفائها لها، فتوقفت هذه عن الجرى فى تردد ، واحداها لا تزال ممسكة بالطفل ، ثم يممت صوب فناء أمامها . وفى تلك اللحظة انقضت الدجاجة الثانية على الطفل واختطفتهمن الاولى بمنقارها القوى ، ثم قفزت قفزة شديدة فوق جدار وهبطت وفى فمها الطفل فى حديقة قسيسِ القرية، فاغتاظت الدجاجة الاولى واندفعت وراءها وهى تصيح، فى الوقت الذى أصابها فيه والد الطفل بضربة شديدة بوعاء الماء الذى يحمله .. ثم تجاوزت الآنسة كوخا فى

طريقها ووصلت الى حقل الطبيب ، أما الدجاجات الاخرى فقد راحت تجرى وراء الدجاجة التى اختطفت الطفل

وخرج القسيس على أصوات الجلبة والصياح وقال: « ارحمنا يارب » ثم أخذ يلوح بعصاه مهددا الدجاجات ويأمرها بالوقوف ، ولعله ظن أنها ستلبى نداءه . ولما يئس من محاولاته ، قذف الدجاجات بعصاه فتحطم برج الدار الذى كانت تزهو به زوجته ، وذعرت الدجاجة لصوت الزجاج المهشم فتخلت عن الطفل وألقت به فى بقعة بها ماء ضحل ، انتشل منه سالما الا من تمزيق ثيابه . ثم وثبت الدجاجة الى حظيرة مجاورة سقفها ضعيف هوى تحت وطأة ثقل الدجاجة . وذعر لذلك رجل مشلول ، ومن عجب أن هذا الحادث كان له أبلغ الاثر فى مجرى حياة هذا الرجل ، فقد فك الحادث عقال شلله .. فراح يجرى فى حديقته ويدلف من باب الدار ثم يغلقه دون الاستعانة بعصاه أو بزوجته !

وتجمع حشد من الناس ، وراح يطارد الدجاجات التى اندفعت الى حديقة القسيس ، ثم الى حقل الطبيب حيث التقت بواحدة كانت قد عجزت عن اجتياز السور

وسكنت الدجاجات برهة من الوقت ، وراحت تنبش الارض بأرجلها كأنما تبحث لنفسها عن مهرب ..واخذت احداها تنقر خلية نحل ، ثم لاذت بالحقول وهى ترسل نقنقة حادة ، وتنتفض من لدغات النحل الى أن عثرت على بعض الطعام فى مزرعة راحت تنقره وتلتهمه الى أن طردت من المزرعة

وعم القرية اضطراب شديد لحلول الدجاج بها، فكان الناس يتصايحون ويجرون ويقذفون بكل ما تصل

ايديهم اليه .. وتجمعوا مسـلحين بالطوب والعصى والاوانى وبكافة مايصلح للقتال لمطاردة ذلك الدجـاج الضخم .. واستطاعوا أن يجلوا الدجاجات عن «ارشت» حيث كانت هناك حفلة تسلى حاضروها بمطاردةالدجاج الى أن وصل الى فندق بتشنز فأطلق أهلها الرصاص عليه .. ولكن الرصاص كان من الصغر بحيث لم يؤثرفى الدجاج الضخم الذى سار متجمعا فى مبـدأ الامـر ، ثم أخذ يتفرق بعد ذلك . وأخذت دجاجـة تنقنـق مضطربة ، وتسابق قطارا سريعا كان يمرق وقتئـذ كالسهم ، حتى دهش لها كل من رآها !

وتمكن صاحب ملعب للحيوانات من خداع دجاجتين عند حوالى منتصف الساعة السادسة ، اذ أغراهمـا بوضع الطعام فى قفص أسرعا اليه فأمسك بهما ..

***

كان الليل قد أقبل عندما هبط « اسكنر » من القطار الذى وصل متأخرا عن موعده ، وسأل ناظر المحطة :

ــ ماذا وراءك من أنباء ؟

فقال له ناظر المحطة فى حنق :

ــ اية أنباء ؟ ..

ــ أعنى الزنابير وما اليها ؟ ..

فأجابه ناظر المحطة فى تجهم وخشونة :

ــ لم يتسع وقتنا للتفكير فى الزنابير .. فيكفى ماسببته لنا دجاجاتكم المنكودة ..!

وسرد على مسامعه ما كان من امر الدجـاج ، فعـاد « اسكنر » يسأله :

ــ ألديك انباء عن مسز « اسكنر » .. ؟

فاجابه الناظر وكأنه لا يريد أن يفضي بـــكل مافى جعبته :

ـ ليس هناك مايخشى منه عليها ..!

فقال « اسكنر » وهو يفكر فيمن يتحمل مســئولية الافراط فى تغذية الدجاج الى أن آل الى ما آل اليه :

ـ لا بأس . سأقوم أنا ببحث المسألة

وقابله شخص وسأله :

ـ هل تبحث عن دجاجة ؟!

فتجاهل « اسكنر » سؤال الرجل ، وسألهبدوره :

ـ هل تعلم شيئا عن مسز « اسكنر » ؟

فقابل الرجل سؤال « اسكنر » بالتجاهل ايضـا ، وراح يتحدث عن شغفه بالدجاج ..

وكانت العتمة قد اشتدت عندما بلغ « اسكنر »حانة القرية ودلف من بابها ، ثم قال لمن فيها :

ـ ماذا تعرفون عن مسألة الدجاج ؟

فأجابه أحدهم :

ـ لقد عرفنا تفاصيل كل ماحدث وبلغنا ماكان منأمر فرارها واذاها ..

وطلب « اسكنر » بعض الشراب ، كما طلب أنيرش على وجهه شيء من الماء .. وراح كلّ واحدٍ منالموجودين يقص عليه قصة من أنبـــاء الدجاج ، واخـيرا صـــاح « اسكنر » :

ـ ليس هذا ما أعنيه .. ماذا تعرفون عن مســـز « اسكنر »

فأجابه واحد منهم :

ـ الا هذا .. فلم تخطر على بالنا لا أنت ولاهى ..!

وعاد الاول يسأله :

ـ اذن فأنت لم تتوجه الى الدار فى يومك ؟

وقال له الثانى عبارة لم يتمها :

ـ اذا كانت قد اصابتها نقرة من احدى الدجاجات..

وخطرت للقوم فكرة هى ان يصحبوا « اسكنر » لانه حيال اضطرابه لايدرك مجريات الامور ، ليتعرفوا ماذا كانت زوجته بخير أم أصابها سوء ..ولكن « اسكنر » كان فى شغل عنهم وهو يجرع كأسه وينظر الى لاشىء . وفجأة سألهم عما اذا كانت الزنابير قد أصابت أحدا بأذى ، فأجابه الاول بأنهم شغلوا بأمر الدجاج ، فقال « اسكنر » :

ـ لعلها رحلت ..

ـ هل تقصد الدجاج ؟!

ـ بل أعنى الزنابير ..

وتحدث «اسكنر» فى لغو وثرثرة عن القطط والكلاب ومالى ذلك ، ولاحت الكآبة على وجوه الموجودين ،وقال الاول :

ـ اتعنى قططا وكلابا فى حجم الدجاجات ..إن القطط فى هذه الحالة تكون نمورا !

وبعد قليل كان « إسكنر » يسير فى الطريق بمفرده ...

ومنذ تلك اللحظة كان هذا الرجل موضوع احاديث الناس فى مجالسهم .. وقد قيل أنه كان يصعد فوق التلال ويوغل فيها ويدوب فى ظلام الليل .. واخيرا اختفى المسكين ولم يسمع أحد عنه شيئا حتى الآن ،

ولم يعرف أحد ماذا حدث له ، كما لم يره أحد بعد ذلك قط !

وصعد اثنان ممن كانوا بالحانة ــ هما اللذان كان يتحدث اليهما ومعهما ابن أحدهما ــ الى التل حيث صعد « اسكنر » وغاب أبد الدهر ، وأخذ ثلاثتهم يتدارسون أمر الرجل ، ولم تبد لأعينهم بارقة ضوء فى المزرعة ، وأخيرا قال الابن :

ــ لو أن خطرا تهدد الرجل ، أو شرا أصابه ، لعاد لتوه ..

وأمن أبوه على قوله ورأيه ، واخيرا عادوا الى دورهم وآووا الى مضاجعهم وهم يفكرون ...

وحدث أن سمع أحد الرعاة صراخا ظنه صادرا عن ثعلب ، واتضح أن حملا اغتيل ووجدت بقاياه فى الطريق ..

أما اللغز الذى حير الناس ، فكان اختفاء « اسكنر » اختفاء تاما . وقد عثر على عظام بعد بضعة أسابيع فى المزرعة التى احترقت ، قد تكون عظاما آدمية ، ولكن لا يمكن الجزم بأنها عظام « اسكنر » ، كما عثر على عين زجاجية ظن أنها احدى عينيه التى كان ينظر بها الى الدنيا فى كآبة وعدم مبالاة !

وكذلك عثر بين آثار المزرعة على بعض الازرار ،بعضها مشوه وبعضها احتفظ بشكله .. كما عثر على حلقات للازرار وأغطية لها ، قيل انها تخص « اسكنر » وانها دليل على أن الرجل قد قضى . وقد تكون العين الزجاجية عينه ، وان كانت زوجته لا تعرف ذلك . ولكنى أقرر أن لون عين الرجل تبدل من السمرة الى الزرقة . أما العظام فانها أبعث على الشك من غيرها ،

فكثيرا ماتتشابه العظام . وانى لاتساءل : أين حـــذاء « اسكنر » ؟ وهل باستطاعة الجرذان ان تلتهمه مــــع جسمه ، وهى التى لم تســـتطع أن تلتهـــم حمـــلا بأكمله ؟!

وأجمع من يعرفونه على أنهم لايصدقون أن حيـــوانا ما يستطيع التهامه بعد افتراسه .. وقد حدثنى شخص يعرفه ، فذكر أن « اسكنر » يتميز بتراكم الاقذار عليه، كما أنه لايمكن أن يموت غرقا ، وقال انه لا يقصـــــد الاساءة بهذا الى الرجل وانما يقول الحق الذى يعرفه.. كذلك قال انه ماكان يقبل أن يحيك له « اســـكنر » ثيابه ، ولو اضطره ذلك أن يبقى حبيســـا فى داره لعريه

ولعل فى كل ذلك مايقطع بأن « اسكنر » لم يمت ، وأنه وان كان لم يعد الى المزرعة ، فالارجـــح أنه راح يجوب الحقول وانه ذهب الى عالم مجهول ، ســـواء فى دنيانا هذه أو فى غيرها ، ولكنه على أى حال آثر البقاء فى عالمه المجهول ذاك حتى يومنا هذا !

حدث خطير

كان أحد الاطباء عائدا بعربته ليلا عبر الطريق الزراعى ـ وقد مضى على اختفاء « اسكنر » يومان ـ بعد جهـــد بذله فى اسعاف مريض كان مشرفا على الهلاك ، وسكون الليل شامل .. واضطر الطبيب ان يسوق عربته بنفسه لمرض سائقه ، وارخى العنان لحصانه ، لمعرفة الحصان معالم الطريق ، ثم استســـلم الطبيب للاغفـــاء ، واذ به يصحو من غفوته مذعورا ويصيح :

ـ ماذا أسمع ؟ ! ..

ثم قال لنفسه انه واهم ، وان ما تناهى الى سمعه لا يعدو أن يكون عواء ثعلب أو صراخ أرنب يفترس .. بيد أنه سمع الصوت مرة أخرى ، فعاد يصيح :

ــ ماذا هناك ؟ ! . .

ومرة ثانية عزا الامر الى الاوهام ، فحث حصانه على السير ، ولم يسمع شيئا بعد ذلك .. ولكن تراءى لعينيه ان شبحا له رأس ضخم أطل عليه خلال أسوار المزارع ، ودقق النظر فلم ير شيئا .. فظن آخر الامر أن كابوسا طاف به ، فلو كان فى الامر شىء لاجفل الحصان ، ورغم كل هذا فقد ظل الطبيب مرهف الحس

واخيرا سمع فى وضوح وقع أقدام ، ولم يستطع النظر الى الخلف لالتواء الطريق وخطورته .. ونظر الى جانبه على ضوء مصباح العربة الخافت ، فرأى ظهر حيوان هائل يقفز فوق السور . وكان الحيوان من الضخامة بحيث ذكر الطبيب بقصص الخرافات وأعمال السحرة . وخشية أن يفلت زمامه من الخوف قبض على العنان بشدة . وبدت له على أشعة القمر الواهنة بيوت القرية وهو يقترب منها ، فشعر بشىء من الطمأنينة ، وحث حصانه على مضاعفة السرعة .. وفجأة هاجمته الجرذان حين مر بباب السور ، وتصدى له فأر ضخم لم تقع عينا الطبيب على مثيل له من قبل ، ويختلف شكلا عن كل ما سبق ان رآه .. فضرب جواده بالسوط ضربة شديدة أيقظ دويها الناس كما أيقظتهم استغاثة الطبيب . ثم تطورت الامور بعد ذلك تباعا ..

ويقال ان الطبيب اهوى بضربة على الفأر ، وان الحيوان نظر اليه نظرة استهانة .. فأردف الطبيب ضربته بثانية ، وثالثة ، دون أن يخطر بباله أن فأرا آخر يقترب منه ،

وأرخى العنان لجواده فرأى فأرا ثالثـــا يجد فى اثره . وضاعف الحصان من سرعته ، بيد أنه كبا ـ لحســـن الحظ ـ بعد أن كان قد وصل الى القرية وقطع فيهاشوطا كبيرا . ولم يتمكن أحد من تعليل كبوة الحصان ، وهل حدث ذلك بسبب عضة فأر فى ساقه .. كذلك لم يتنبه الطبيب الى أن فأرا قضم كتفه ، فأحـــدث به جـرحين كبيرين .. وأن بعض لحمه قد انتزع عند الجرحين ، الا حين وجد نفسه طريح الفراش فى بيت بناء القرية !

ويروى أيضا أن قدم الطبيب التوت حين قفز من العربة مدفوعا بغريزة حب البقاء ، وأن الحصان وقف على قائمتيه الخلفيتين حين أمسك فأر برقبته ، ثم وقع الحصـــان فانقلبت العربة وتحطم مصباحها واشتعل زيته فأضــــاء المكان ، وبانت معالم المعركة . وكان هذا الضوء هو الذى جذب أنظار البناء الذى سمع الجلبة واستغاثة الطبيب ، ثم استبان أحداث المعركة ، والفأر الذى غرز أسنانه فى رقبة الحصان . وافعمت أحداث المعركة قلب البنـــــاء بالرعب ، خاصة حين لمح عينين ترقبانه بجوار جـــدار المقبرة ، قفز صاحبهما على الجدار بعــــد ذلك .. ثم لاذ الطبيب ببيت البناء ، وراح يطرق الباب والدموع تنهمر من عينيه .. وسمح له البناء بالدخول بعد أن تعرف عليه ، وبادره الطبيب قائلا فى هلع :

ـ اقفل ..

ثم تهالك على مقعد ليسترد انفاسه ، قبل أن يتحامل على نفسه ويصعد الدرج ، وراح يكرر عبارة واحـــدة قائلا :

ـ لا أعرف ما هى ! ...

وحاول البناء ان يحمل الطبيب على تنـــاول شراب

ينعشه فأبى ، وأبدى الطبيب توجسه من البقاء بمفرده فى هذا الضوء المتراقص الواهن .. فصعد به البنساء الى الطابق الاعلى

ورأى الجرذان وهى تحيط بجثة الحصان الذى مات ، ثم تجرها الى المقبرة ، وتنهش لحم الحصان وتلتهمه فى نهم دون أن يعترضها أحد !

***

توجه « ردوود » الى « بنزنجتون » صباح اليـــوم التالى ، ومعه ثلاث نسخ من طبعات ثانية لصحف المساء ، فوجده غارقا فى التفكير فى قصة ما فما أن رآه «بنزنجتون» حتى بادره بسؤاله :

ــ ماذا وراءك من جديد ؟

ــ اقرأ .. لقد لسعت الزنابير رجلين ..

ــ هذا ذنبهما على كل حال .. بيد أننى أرجو أن يصرح لنا باستخدام الدخان لابادة هذه الزنابير

ــ نعم ، انه ذنبهما حقا ..

ــ ألديك أنباء عن شراء المزرعة ؟

ــ أن السمسار ثرثار شأنه شأن جميع السماسرة .. فهو يكررالقول بأن هناك مشترين آخرين .. وعنـــدما أنهيت اليه أن الموضوع حيوى بالنسبة لنا ، عجب لماذا لا نزيد أجره مائتى جنيه .. وأصارحك القول اننى أفضل أن يمتلىء العالم بالزنابير على أن أذعن لمطامع شخص وضيع كهذا .. فانى ..

فقاطعه « بنزنجتون » قائلا :

ــ أكاد أفقد الامل فى أن أحد الزنابير ..

وقاطعه « ردوود » بدوره قائلا :

ـ ان هذا السمسار ليس أكثر ادراكا للمنفعة العامة من الزنابير .. !

وراح يكيل السباب والتهم للسماسرة ، فنعت هذه الفئة بأحط الصفات .. وأوضح الفارق بين السمسار وبين الطبيب أو الجندى الذى يجعل الواحد منهم الشرف رائده . ثم يمم شطر النافذة وراح يتطلع الى المارة

وألقى « بنزنجتون » القصة التى بيده جانبا ، وشبك يديه ، وقال :

ـ أخبرنى بصراحة .. هل يلفظ الناس بنا ؟

ـ الى حد ما .. على غير ماكنت أتوقع ..

ـ وهل يشددون علينا النكير ؟!

ـ كلا .. بيد أنهم يعترضون على وجهة نظرى فيما أرى أن يعمل .. ولقد نشرت فى التيمز ايضاحا وافيا للموضوع ، وعلقت عليه الجريدة بمقال طويل تستبين منه وجهة نظر الجريدة فى الا جدوى فى تهوين حدة الامر .. وأهابت بضرورة عمل شىء والا ساءت العواقب

ـ يخيل الى أن « اسكنر » كان محقا فيما ذكره عن الجرذان ..

ـ لا أرى ذلك ..

واقترب « ردوود » من « بنزنجتون » ، وقال بصوت خفيض وهو يشير الى باب مقفل :

ـ ماذا تقول ابنة عمك ؟

ـ جين .. لا علم لها بشىء من هذا على الاطلاق .. بل انها خالية الذهن عن وجود صلة بيننا وبين ذلك الامر .. انها ترفض قراءة الصحف ، ولا تصدق مسألة الزنانير الضخمة ، وتقول ان ذلك هراء

ـ يسعدنى أن اسمع هذا ..

ـ وما رأى مسز « ردوود » ؟ ..

ـ لا شيء .. انها مشغولة بطفلها .. فهو مستمرق ..

ـ انمو ؟! ..

ـ نعم .. ان وزنه الآن يقرب من ستين رطلا رغم أن عمره لا يتجاوز ستة أشهر .. انه أمر يبعث على القلق حقا .. !

ـ ولماذا ؟ .. أليس ذلك دليلا على الصحة الجيدة والبنية القوية ؟

ـ بل على قوة الشكيمة المفرطة .. ستهجرنا المربية لانه يركلها بعنف .. ان نموه مطرد ، وبسبب ذلك تصنع له ملابس أخرى من وقت لآخر .. وبسبب ضخامته كسرت احدى عجلات عربته ، فحمل الى البيت فى عربة اللبن ، وتجمهر حوله الناس مندهشين مذهولين . وخصصنا له سريرا كبيرا لنومه لان مهده لم يعد يتسع له ، وأمه منزعجة بعد أن كانت مزهوة فى مبدأ الامر .. وتنسب ذلك الى اختلال الصحة !

ـ ألم تعالج المسألة بالاقلال من الجرعات تدريجا ؟!

ـ لقد فعلت ، فكانت النتيجة أن الطفل لا يجأر بالصراخ ، ويزمجر كالحيوان المتوحش .. وتلك حال لا تطاق .. !

وتنحنح « بنزنجتون » فى يأس ، ثم استطرد « ردوود » يقول :

ـ ياله من طعام .. أغلب الظن أن الناس حين يعلمون بأمر الطفل ستقفز الى أذهانهم مسألة الدجاج وغير الدجاج ، ويقحمون زوجتى فى الامر ..

ـ انها معضلة يستعصى حلها .. اننا نعمل سعيا وراء نتائج نظرية ، ولكننا نكتشف عوامل كامنة جـــديدة لم يسبقنا اليها احد .. ليس لنا ولا لغـــــيرنا أن يقف فى وجهها .. الواقع أن الزمام قد أفلت من يدنا لاننا نصنع الطعام ..

ـ وهم يجرون عليه التجارب ..

ـ لن أبالى بالضجة القائمة فى « كنت » ..

ـ الا اذا لجئوا الى القانون لعرقلتنا وتعكير صفونا..

ـ ان حالة طفلك الآن هى التى تثير اهتمامنا ..

فحدق فيه « ردوود » وقال :

ـ انك أكثر منى صلاحية للنظر فى أمره .. فهو ليس ابنك .. أشر على بما أفعله

ـ لا تقطع عنه الغذاء ..

ـ سيستمر نموه ويزداد ..

ـ فليكن .. سيكون ذلك نسبيـــــا كما فى الدجاج والزنابير !

ـ وبعدئذ ؟ ..

ـ فى ذلك متعة وطرافة ..

ـ الا تفكر فى أمر ملابسه ؟ !

ـ عندما يكتمل نموه سيصبح « جلفر واحدا فى دنيا الاقزام » .. ان ما أعنيه يا «ردوود » بالذات هو أن مخ الفتى سيتضاعف حجمه بعدد المرات التى يتضاعف بها جسمه بالنسبة لنا

وكان « ردوود » يرسل النظر خلال النافذة ، فرأى اعلانا عريضا على عربة فى الطريق ، فسأله «بنزنجتون » عما يرى ، ولكن « ردوود » أطلق صرخة حادة وقال وهو

يهم بهبوط الدرج ، و « بنزنجتون » فى ذهول :

ــ سأشترى صحيفة ..

ــ لماذا ؟ ..

ــ لم أتبين بالضبط .. جرذان .. !

ــ جرذان جبارة .. اذن كان «اسكنر» محقا فيما قال .. لعلها فتكت به والتهمته !

ثم اندفعا معا يهبطان الدرج مسرعين ، وهما يسمعان بائعى الصحف يصيحون وهم يجرون :

« حدث جلل خطير فى كنت .. جرذان جبارة تأكل طبيبا وتفتك بجواده وتلتهمه .. اليكم التفصيل .. »

وحين وصلا الى الباب وجدا المهندس الشهير «كوسار» وأمسك « ردوود » الصحيفة وراح يقرأ الانباء .. بينما شب «بنزنجتون» على أطراف أصابعه يطل على الصحيفة من خلف زميله ، وكان المهندس ضخم الجسم .. قسمات وجهه ليست متناسقة ، قوى الصوت حتى ليسمع شهيقه وزفيره من داخل صدره ، يتكلم فى نبرات الغاضب .. ونقد الحوذى أجره ، واخذ يصعد السلم الخارجى لاهثا ممسكا بصحيفة فى الوقت الذى سأل فيه « بنزنجتون » زميله فى لهفة :

ــ و «أسكنر » ؟ ..

ــ لم تنوه عنه الصحيفة .. لاشك ان الجرذان فتكت به والتهمته هو وزوجته .. انها مأساة تتمزق لها نياط القلوب .. هاهو ذا المهندس « كوسار » ! ..

فقال « كوسار » وهو يطوح بالصحيفة فى وجهيهما :

ــ هكذا ثمرة طعامكما ! .. لم لا تعالجان الامر .. وتوقفان هذا الشر ؟ .. ومع ذلك ترغبان فى شراء

المزرعة .. خير لكما أن تشعلا فيها النار . لقد كنت على يقين من مغبة فعلكما .. اشتريا عددا من الاسلحة والذخيرة التى تصلح لقتل الجرذان الجبارة ، ولن تعدما وسيلة الحصول على تصاريح الشراء من مكتب البريد ، واذهبا بالسلاح الى أرشت .. أين تليفونك يا «بنزنجتون» لأستدعى عددا من اصدقائى الاقوياء ؟ .. وأنت يا «ردوود» أتبحث عن قبعتك ؟ .. يا للسخف .. انك بحاجة الى السلاح يا صاح .. طبعا معك ما يكفى من النقود ..

وقاده « بنزنجتون » صاغرا الى التليفون ، فتحدث فيه « كوسار » ثم قال موضحا خطته :

ــ أما الزنابير فيمكن ابادتها بمركب من الكبريت وملح البارود .. ونحن بحاجة الى مقدار من الجبس..ألست كيميائيا ؟ .. ان الامر لا يحتاج الا الى العثور على كميات هائلة من الكبريت معبأة فى أكياس حتى لا نجد مشقة فى نقلها .. لنستخدم دخان المركب فى ابادة الزنابير فى أعشاشها .. أما الجبس فلكى نسد به الاعشاش ، على أن تنقلَ هذه المواد الى هناك

ووافق « بنزنجتون » على كل ذلك ، ورتب ما يلزم للحصول على المال من المصرف .. وران الصمت على الجماعة لحظة ، قال بعدها « كوسار » :

ــ اننا اذا تهاونا ، فان « كنت » ستصبح أثرا بعد عين .. والآن سأترككما واذهب

ثم نادى على عربة فتقدم اليه سائقها ، وهبط « بنزنجتون » السلم عارى الراس ، وهم بالركوب ثم قال :

ــ يجملَ بى أن أخبر ابنة عمى «جين» ..

ولكن « كوسار » دفعه قائلا :

ـ يمكنك أن تقول لها ما تريد بعد ان تعود .. يالكما من رجلين فذين ، ولكن تنقصكما ملكة الابتكار .. انني أعرف ابنة عمك «جين» تمام المعرفة .. تعسالهاولأمثالها ممن رزىء البلد بهن .. انهن جاهلات بما يجب عليهن أن يفعلن رغم تلقينهن اياه

ونظر « كوسار » الى ساعته ، ووجد أن لديه متسعا من الوقت يمكنه فيه أن يتناول غذاءه قبل أن يتوجه لشراء الجبس وأرساله الى تشيرنج كروس

وأخيرا تحرك القطار فى الساعة السادسة ، وكان « كوسار » قد وصل الى المحطة قبل موعد قيام القطار بوقت كاف ، ووجد « بنزنجتون » قد اشتبك فى جدال صاخب مع سائق العربة ومع اثنين من رجال الشرطة خارج المحطة ، كما وجد « ردوود » فى مخزن البضائع يعالج هو الآخر كيفية شحن الاسلحة ، وموظفو شركة النقل يعاملونه فى تراخ ، فقال « كوسار » :

ـ سحقا لهؤلاء الموظفين .. انهم يستحقون أن يموتوا رميا بالرصاص ، وان يستبدل بهم غيرهم أنشط منهم واذكى ..

وانتهت المنازعات ، وراح ناظر المحطة يصدر تعليماته الى الموظفين .. واستطاع «كوسار» أن يستقل القطار مع صاحبه بعد أن شحنوا معداتهم . ولم يدرك ناظر المحطة انه حاد عن اتباع النظم المعمول بها ، وتحسس ذراعه التى كان « كوسار » يقبض عليها مقطبا ، وسأل الناظر أحد الحمالين :

ـ ترى من كان هذا الرجل ؟

ـ انه أحد الاشراف .. ركب ومن معه فى الدرجة الاولى ..

ـ لقد أرضيناه على كل حال .. اذ ركب ومن معه وما معه

وسار الناظر على مهل ، ولاذ بعزلته شأن كبار الموظفين ليكون بمنأى عن صخب المسافرين وثرثرة الناس .. وكان مزهوا بنشاطه الذى أبداه فى خدمة ذلك الشريف ، فخورا بما أظهره من كفاءة ، رغم تلك القبضة القوية التى آلم بها ذراعه ، وتمنى لو أن من ينحون عليه باللائمة قد شاهدوا نشاطه هذا

الفصل الثالث :

الجرذان الجبارة !



الجرذان الجبارة

ما أن وافت الساعة الخامسة مســـــاء ، حتى كان « كوسار » قد قام بارسال كافة المعـــدات من أرشت الى هكليبراو ، التي عزم على أن يقضى بها على الزنابير والجرذان الجبارة . وقد تزود بمختلف المواد والادوات من زيت ووقود وكبريت وبنادق كبيرة وصغيرة مزودة برصاصها ومطارق ومجـازف وحبال .. ولم ينس أن يأخذ مئونة تكفيه هو ورفاقه ثلاثة أيام مكونة من طعام مجفف بارد وبضع زجاجات من الويسكى والبيرة والمياه الغازية ، نقلها جميعها فى عربتين ماعـــدا البنادق التى أخذها معه « ردوود » والرجال الاقوياء الذين احضرهم « كوسار »

وكان « كوسار » هادئا ، وهو يعد كل ذلك ، بالرغم من الذعر الذى عم ارشت لظهور الجرذان الجبارة ، وقد أجزل العطاء لسائقى العربات لضخامة حمولتها..ووجد « كوسار » جميع الحوانيت مغلقة والطرقات مقفرة ، ونادرا ما رأى شخصا يسير ، واذا طرق أحد الابواب أطل عليه شخص من النافذة دون أن يفتح الباب .. ويظهر أنه كان قد رسم خطة الاستعانة بأهل القرية فى انهــاء مهمته .. واذ ذاك استقل مع « بنزنجتون » عربةتقلهما الى « هكليبراو » لحقت بالعربات الاخرى فى الطريق ..

واستغرق « بنزنجتون » فى التفكير فيما فعله ، هــو

وزميله ، ولم يألفه الناس .. وكان يتطلع بين الحين والحين الى رفيقه « كوسار » ، وأخيرا قال فى نفسه :

ـ لم لا نقدم على عمل كل ما هو طبيعى ليكون السفر أيسر وأعظم امتاعا .. أى عمل يحبه الانسان ، ولا يرى أنه خطأ ؟! . .

ثم عاد وغرق فى دوامة من التفكير الغامض عن الارادة وحقيقتها .. ففى رأيه أن النظم القائمة يكتنفها التعقيد، وأن الحياة حافلة بالسخافات والاسفاف ، وان فى وسع الناس أن يمتعوا أنفسهم بما يروق لهم ويرونه مفيدا ، ولكن قوة لا يعترفون بها تحول دون ذلك .. ان ابنة عمه «جين» مثل بارز فى هذه الناحية ، ولها شأن دقيق فى الامر من العسير ادراكه .. لماذا نتناول الطعام، ولماذا ننام ونعيش بلا زواج ، ونطرق بعض الاماكن وننأى عن البعض الآخر .. كل ذلك من أجل «جين» واحتراما لها .. تلك التى أصبحت فى نظره رمزا لامر غامض !

ورأى « بنزنجتون » طريقا ممهدا معبدا ، فقفزت الى ذهنه ذكرى ذلك اليوم المشرق الصافى القريب العهد به الذى سعى فيه على قدميه من «أرشت» ليرى دجاجه الكبير ..

يالسخرية القدر ! ..

ونبهه « كوسار » من سبحات أفكاره ، وكان الطريق مكسوا بالعشب ، والجو قائظا وقت الظهيرة وقد سكنت الريح ، والمارة قليلون ، والغزلان تمرح وراء الاسوار .. ولمح « كوسار » اثنين من الزنابير الضخمة على مقربة من «هكليبراو» كما رأى زنبورا ثالثا يزحف على الارض امام حانوت بدال القرية ويحاول الدخول ، وكان من السهل رؤية البدال داخل الحانوت وهو يرقب الزنبور فى هلع

وفزع ممسكا ببندقية كبيرة . وعندما بلغت أولى العربات حانة جولى توقفت عن المسير ، وابلغ سائقها «ردوود» انه قد وصل الى المكان المتفق عليه .. وحذا حذوه سائقا العربتين الاخريين ، ورفض الجميع أن يتقدموا أكثر من ذلك ، وأصروا على رأيهم .. ثم قال احدهم :

ـ اننا نخشى على الخيل من أذى الجرذان الضخمة ..!

وكان « كوسار » قد وصل اليهم فأمر بتفريغ شحنة العربة الصغيرة ، فأسرع أحد رجاله ـ وهو مهندس ناصع البياض دميم الهيئة ـ الى تنفيذ الامر ، ثم طلب « كوسار » بندقية أشار نحوها ، وقال يخاطب السائقين :

ـ اننا لا نريد معونتكم .. لكم أن تفعلوا أو تقولوا ما تشاءون ، ولكننا نتشبث بهذه الخيل فهى لازمة لنا .. !

وأخذ السائقون يجادلونه ، بيد انه استطرد قائلا :

ـ واذا عارضتم ، أو لجأتم الى العنف ، فسأصيب اقدامكم بهذه البندقية ، وستتابع الخيل سيرها ..

ثم استدار الى اثنين من رجاله الاقوياء المفتولى العضلات وصاح فيهما :

ـ عليك بهذه العربة يا « فلاك » .. وتول يا « يابون » تلك ..

فجن جنون سائقى العربتين ، وراحا يصرخان فى وجه « ردوود » فقال لهما :

ـ لقد أديتما رسالتكما بالنسبة لصاحبى المركبتين .. فعليكما أن تنتظرا هنا حتى نعود . ولا لوم عليكما فى ذلك . اننا نحمل سلاحا كما ترون ، فلا تلجئونا الى استخدامه

حيالكما .. ان العمل الذى ينتظرنا جد خطـــير ، واذا أصاب الخيل شر فأعدكما بأنى سـأعوض اصحابهــا عنها فاطمئنا ..

وأكد « كوسار » هذا الوعد .. وسارت القافلة بين راكب ومترجل ، وكانت فريدة فى شـكلها .. واصلت سيرها واعتلت قمة التل واشرفت على المزرعة ، ولمحت الجماعة نفرا من الناس قريبا من المزرعة ، يحمل احدهم بندقية ، من بينهم ذلك الرجل الذى كان يتحدث الى « اسكنر » فى الحانة قبيل اختفائه واسمه « فلشر » ، ورجل آخر كان يرقب المزرعة بمنظار مكبر ، والتفتوا جميعا الى القافلة فسألهم « كوسار » :

ـ ما وراءكم من أنباء ؟

فأجابه « فلشر » الاب :

ـ الزنابير لا تتوقف عن التحليق غدوا ورواحا دون أن تحمل شيئا

وقال صاحب المنظار :

ـ كانت أشجار الصنوبر « تتمتع » بالحرية عنــد الصباح .. فاذا بالنبات الزاحف يتسلقها ويمســك بتلابيبها .. وفى وسعك ان تراقب ذلك النبــات فترة يسيرة لتلاحظ سرعة نموه ..

وقال « اسكلمر زديل » :

ـ لعلكم ذاهبون الى هناك ..

فقال له « كوسار » :

ـ أتريد أن تصحبنا ؟ .. سيقتضينا العمل طـوال الليل ..

فتردد « أسكلمر زديل » قليلا ، ولكنه عقد العزم على عدم الذهاب .. وعاد « كوسار » يسأل :

ـ هل رأيتم جرذانا ضخمة ؟
ـ نعم رأينا واحدا منها يطارد الارانب ليصيدها ..

وتركهم « كوسار » وتابع سيره ليلحق برفاقه .. وحين وقعت عينا « بنزنجتون » على المزرعة أدرك على الفور مفعول طعامه السحرى ، ونظر الى البيت فخيل اليه انه أصغر مما كان ، كما راى ازدياد نمو النبات حتى لقد غطى الكلأ سقف البناء القائم عليه.. كما لاحظ التفاف النبات حول مدخنة البيت العالية وتجاوزها الى أعلى، وكذلك وجد النبات قد التف حول أسلاك الحظائر

وقارن الجماعة أنفسهم بكل ما يرونه فخيل اليهم انهم فريق من الاقزام ، ثم رأوا الزنابير تحلق فوقهم وتدلف الى أعشاشها أو تخرج منها ، وأجساما سوداء تحوم فى الجو ، يطارد واحد منها ـ فى سرعة هائلة ـ طيرا ويحاول الانقضاض عليه ، وطنينها يصم الآذان

ودنا أحد الزنابير من الجماعة وراح يحوم فوقها وينظر اليها بعينيه المرعبتين ، فأطلق عليه « كوسار » رصاصة لم تصبه ، ولاذ الزنبور بالفرار . وحط بعض الزنابير على عظام ملقاة لعلها عظام حمل كانت قد فتكت به الجرذان .. وجمحت الخيل عندما اقتربت من هذه المخلوقات الهائلة الخارقة ، فاضطر أفراد الجماعة الى أن يسوقوها فى رفق وهم ممسكون بها

وعندما وصلت القافلة الى البيت ، لم ير أحد من أفرادها جرذانا .. وقد ران السكون على المكان ، اذا استثنينا طنين الزنابير فى أعشاشها يشتد ويخفت. ودخل الرجال ومعهم الخيل الى الفناء ، ووجد باب البيت مفتوحا ومتآكلا .. فدلف منه أحدهم دون أن يشعر زملاؤه بغيابه فى مبدأ الامر ، لانشغالهم بنقل براميل

الزيت ، الى أن نبههم الى ذلك صوت طلقة من بندقية، ثم طلقتان .. ويبدو أن الطلقة الاولى أصابت صندوق الكبريت ، اذ شوهد غبار أصفر يرتفع فى الجو ويختلط بالهواء

وأطلق « ردوود » بندقيته على حيوان قفز بالقرب منه ، ورأى ذيله الطويل تكسوه القشور .. وأطلق عليه رصاصة أخرى ، ورأى بعد ذلك « بنزنجتون » ينطرح على الارض فى الوقت الذى اختفى فيه الحيوان وراء البيت

وتأهب الرجال واستعدوا ببنادقهم ، ومرت بهم دقائق رهيبة استهانوا فيها بأرواحهم .. وتتابعت طلقات الرصاص مدوية ، ونسى « ردوود » فى غمرة المعركة أمر زميله وصديقه « بنزنجتون » ، وراح يطارد الجرذان .. واصطدمت قدماه فى أثناء اندفاعه ببعض الاحجار التى أطاح بها الرصاص ، ثم وجد نفسه يفترش الثرى ، وهاله أن يرى يديه وشفتيه تكسوها الدماء ، وقد ران على المكان سكون شامل .. وفجأة تناهى الى سمعه صوت من داخل البيت ، فصاح مذعورا :

ــ من هناك ؟ ..

فقال صاحب الصوت :

ــ أينادينى أحد ؟

ثم أردف صاحب الصوت يقول :

ــ هل اصبتموه أيها الرجال الشجعان ؟ ..

واستيقظ ضمير « ردوود » حيال زميله «بنزنجتون» فقال :

ــ ترى هل أصاب « بنزنجتون » شر ؟! ..

ويبدو أن الرجل الذى دخل البيت لم يتبين ما قاله « ردوود » ، فقال :

ـ اننى لا أرجع باللائمة على أحد اذا كان قد أصابنى شر

واعتقد «ردوود » أنه أصاب « بنزنجتون » برصاصة فنسى أمر جروحه ونهض من فوره .. فرأى زميـــله « بنزنجتون » جالســا يتحسس كتفه ويدلكها ، وقال « بنزنجتون » :

ـ سددت له الطلقة .. لقد هاجمنى فسقطت على الارض ولكنى أصبته بطلقة ثانية .. وكتفى تؤلمنى من شدة الطلقة ..

وأتى فى هذه اللحظة واحد من الرفاق وقال :

ـ لقد أصبته فى صدره وفى جنبه ..

وجاء « كوسار » من خلال النباتات الزاحفة ، وسأل عن العربات . ودهش « ردوود » حين تبين أن أحدا من الجماعة لم يصب بسوء ، وعرف أن المركبتين قد انتقلتا الى مكان آخر ، وان النبات النامى تسبب فى عرقـــلة سيرهما فتوقفت الجياد عن السير . ورأى الرجال برميل الكبريت وقد علاه غبار كثيف أصفر ..وأوضح«كوسار» كيف أصاب جرذا كان قد هم بالهجوم عليه والفتك به .. وذهب بعض الرجال لفك عقال عجلات المركبتـــين من النبات الذى تشابك بها ، فرأوا هناك جرذا صريعا

ولمـا هدأ جأش الجماعة ، يمم « ردوود » شـــطر الجرذ الصريع فرأى كيف تشوه ... كما رأى أســنانه الرهيبة بارزة من فكه ، كما وجد مخلبيه يشبهان اليدين النحيلتين ، ثم قال :

ـ أغلب الظن انهما كانا جرذين .. هرب احدهما رغم اصابته

وفى هذه اللحظة ، مال فرع من النبات الزاحف على عنقه ليتعلق به ويلتف حوله ، فبادر الى الابتعاد عنه ، وحمل الهواء الى الآذان طنين الزنابير فى أعشاشها

***

أزدادت يقظة « كوسار » ورفاقه ، وتضاعف ارهاف حسهم وتوتر أعصابهم ، بسبب محاولة نوع من النبات الزاحف الالتفاف حول رقبة « ردوود » .. ونقلوا أدواتهم الى البيت الذى كانت الجرذان قد عبثت به بعد أن فرت منه زوجة (اسكنر) ونجت بنفسها . وذهب بعضهم بالجوادين الى « هكليبراو » . ثم أتوا بالجرذ الصريع الى البيت،ووقع نظرهم فى أثناء سيرهم على ديدان ضخمة فى احدى الحفر ما لبثت أن اخذت تتفرق عند سماع وقع أقدام بجوارها ، ولكن «كوسار» راح يسحقها بقدميه وبكعب بندقيته ففتك ببعضها ، كما أعمل اثنان من رفاقه معاولهم فى تقطيع النبات الزاحف عند البالوعة.
وفى الوقت الذى كان فيه «كوسار» يهيىء البيت لقضاء الليل به ، يمم « بنزنجتون » و « ردوود » ومهندس كهربائى صوب الحظيرة فى حذر شديد بحثا عن مواطن الجرذان

حرص الرجال على تجنب نبات القراص خشيةالاصابة بأشواكه السامة ، ووقع نظرهم على فجوة كبيرة هى مدخل وكر للجرذان تنبعث منه رائحة كريهة ، وفكر الرجال فى كيفية الدخول الى أمثال هذه الاوكار واستخدام ضوء خاص لهذا الغرض ، ثم ساروا فرأوا عن قرب أوكار الزنابير

وأخذت الشمس تميل نحو الغروب ، فراحت الزنابير تأوى الى أوكارها ، وأشعة الشمس الصفراء تنعكس على أجنحتها فترسم على الارض ظلالها .. وأخذ الرجال يرقبونها عن بعد ، وهى تزحف على الارض ثم تختفى ، فتدارسوا أمرها . وفكر «بنزنجتون» فيما تحتاج اليه مهمتهم من ضوء ، فلفت نظره المهندس الكهربائى الى أن الليلة مقمرة

وعاد الرجال لينقلوا الى « كوسار » نبأ ما شاهدوه ، وليتشاوروا فيما ينبغى أن يفعلوه .. فأشار عليهم بضرورة نقل مقدار كبير من الكبريت وملح البارود الى الغابة بعد الغروب ، وتم لهم ذلك ، وسكن طنين الزنابير .. ولم يسمع فى الغابة سوى وقع أقدام الرجال وترديد أنفاسهم اللاهثة وهم ينزلون أحمالهم الى الارض ، وقد قام الرجال جميعا بهذا العمل ما عدا «بنزنجتون» الذى تخلف فى الدار، ووقف فى احدى الحجرات حاملا بندقيته، وراح ينظر الى جثة الفأر الصريع . وتناوب بعض الرجال مراقبة أوكار الجرذان ، وكانت أكمام نبات القراص حين يكتمل نضجه تنفجر فترسل أصواتا كأصوات انطلاق المسدسات وتنثر حباتها وكأنها رصاص

وجلس « بنزنجتون » على مقعد بجوار النافذة ووضع بندقيته على قاعدتها ، وراح يتأمل بمنظاره الجرذ الصريع على ضوء الشفق ، ويتلفت فيما حوله مفكرا ... ونقل اليه الهواء رائحة الزيت الذى كان يسيل من ثقب فى احدى القوارير ، ممتزجة برائحة النبات ، وفى نفس الوقت كانت تزكمه رائحة مخلفات «اسكنر» من خمر وجبن وتفاح فاسد ، فتذكره بذلك المسكين وبزوجته . وتأمل الحجرة المعتمة فشاهد سترة على مشجب ، وبعض حاجيات «اسكنر» وقطعة صابون يبست لطول العهد بها ، فذكرته

بمظهر القذارة المفرط الذى تميز به «اسكنر»

وقفزت الى ذهن «بنزنجتون» فكرة لم تخطر بباله من قبل، وهى أن ذلك الجرذ الصريع فتك بـ «اسكنر» والتهمه .. فهل فكر فى نفس الوقت فى اكتشافه ذلك الغذاء السحرى الذى بدا له أنه كشف لا خطر منه .. أليس هو شخصيا يتهدده الخطر وهو قابع بمفرده فى هذا البيت الرهيب مرضوض الكتف ، لا يدرى شيئا مما قد تصيبه به المقادير ؟!..

لقد أدرك فى لحظته تلك كيف تطور العالم.. فقد غادر ابنة عمه «جين» دون أن يقول لها كلمة واحدة .. ترى ماذا يخالجها من ناحيته ؟!..

وعجز عن تخيل موقفها منه .. ولف كيانه احساس غريب بأنه لن يعود الى «جين» أو يراها بعد ذلك أبد الدهر ، وشعر بأنه أتى أمرا جللا وأنه ذهب شططا ... فماذا عساه يحيط به من وحوش جبارة مختبئة ، على كثب منه ، تحدق به وتتهدده أخطار جسام .. ولفه سكون رهيب وفزع هائل لعدم سماع أصوات رفاقه . وبدت له الحظيرة وفناء الدار كأنها تزخر بالاشباح فى ذلك الظلام المطبق.

واخيرا سمع من يناديه : بانج .. بانج .. ثم تناهت الى أذنيه صرخة مدوية أعقبها سكون شامل . وعاد الصوت يناديه .. وكان صوت « ردوود » وبرفقته «كوسار» ، و «ردوود» يقول له :

ــ لقد قتل «كوسار» جرذا آخر يا «بنزنجتون» ..

***

ولما نال التعب من الجماعة جلس أفرادها لينالوا قسطا من الراحة ، وتناولوا بعض الشرب . واقبل الليل ،

وذهب اثنان منهم الى سفح التل لمراقبة الجرذان ، وأخذ الباقون يتدارسون فيما ينبغى عمله ليلا . وأضاء القمر، فخرج من كانوا بالبيت وعلى رأسهم « كوسار » ويمموا شطر أعشاش الزنابير ، ولم يجـدوا كبير عناء فى أبادتها وان كانوا قد تعرضوا لبعض الاخطار . وغمروا الاعشاش بالكبريت وملح البارود وسدوا ثقوبها بالجبس ، وأشعلوا فيها النار ثم ابتعدوا ما عدا «كوسار» الذى بقى فى مكانه. وسمعوا طنين الزنابير ضعيفا مختنقا ، وان كان قد علا برهـة من الوقت ولكنـه خفت أخيرا ثم تلاشى وخيم السكون

وقال « بنزنجتون » فى صوت خفيض :

ـ لقد نجحنا فى مهمتنا ..

ورأى الجماعة «كوسار» وهو يتجه نحو أفواه الاعشاش المشتعلة ، وسمع الرجـال طلقة تنبعث من جهة الدار ، ثم أخرى ، فأدركوا أنها بسبب الجرذان .. وأعقب ذلك سكون .. ولكن فجأة تتابعت فى آذانهم صرخات عاليـة وطلقات متوالية ، وسمع هرج عند أوكار الجرذان ... وقد صاحب الصراخ عويل ، فأسرع الرجال الى بنادقهم ، ثم انطلقت طلقتان أخريان ، وأخـذ « بنزنجتون » يطارد بعض الجرذان ببندقيته ، بينما حلق بأفكاره نحو ابنـة عمه «جين» .. وتمنى لو أنها رأته وهو يخـوض هـذه المعركة الرهيبة !

والتقت الجمـاعة بالرجل الذى هرب من الجرذان ، فاستفسره «كوسار» عما حدث ، فأخبره الرجل أن قطيعا من الجرذان برز دفعة واحدة من داخل أوكارها .. وأن «فلاك» وقع على الارض

فى هـذه اللحظة انضم « بنزنجتون » الى الجمـاعة ،

وساورهم جميعا الخوف على «فلاك» وأشفقوا لمصيره. وطلبوا الى الرجل أن يدلهم على مكانه ، وساروا جميعا والرجل يشرح لهم فى أثناء السير تفاصيل ماحدث من أن الجرذان برزت من أوكارها وأنها راحت تقفز، ولكنها ذعرت من اطلاق الرصاص فهاجمتهما . وسأله «كوسار» عن عدد الجرذان التى هاجمتهما ، فأخبره انها كانت ستة جرذان .. ثم سأله أحدهم :

ـ ولكن ما مصير «فلاك» .. هل قتل ؟

ـ هجم عليه أحد الجرذان ..

ـ وهل أطلقت الرصاص على الجرذ الذى هجم على «فلاك» ؟

ـ وهل كنت أستطيع ذلك ؟! ..

ونظر « كوسار » الى الرجال ثم سأل :

ـ هل كانت البنادق محشوة بالرصاص ؟

فأجاب الرجل قائلا :

ـ بلا شك .. اننى واثق من ذلك ..

وعاد أحدهم يسأل :

ـ و «فلاك» ...؟

وسأله رجل آخر فى قلق :

ـ هل يفهم من ذلك أن «فلاك» ...؟

ولكن «كوسار» نهرهم جميعا قائلا :

ـ ليس هذا مجال الكلام

ثم سار على رأس الجماعة وهو ينادى بأعلى صوته على «فلاك» .. ويمموا شطر أوكار الجرذان خلف بعضهم مسددين بنادقهم متأهبين لاطلاقها ، غير مبالين باختراق منابت الاعشاب الضخمة ، الزاحفة منها والقراص ، بحثا عن «فلاك» ، وعثروا فى طريقهم على الجرذ الثانى

الذى قتـل ، كما عثروا على بنـدقية زميلهم الذى نجـا بنفسه ووافاهم ، فهتف «كوسار» بأعلى صوته :

ــ «فلاك» .. «فلاك» ..

فقـال الرجل الذى كان يرافق «فلاك» ، الذى انضم الى الجماعة :

ــ كان يجرى بجانب نبات القراص . ثم سقط بالقرب من هذا المكان

فسأله «كوسار» محنقا :

ــ أى مكان ؟.. أين وقع ؟..

فقادهم الرجل فى وجل الى المكان الذى أشـار اليه ، وقال :

ــ يغلب على ظنى انه وقع فى هذا المكان ..

ــ ولكن لا أثر له .. فأين هو ؟.. وأين بندقيته ؟..

ثم أردف «كوسار» محنقا :

ــ ألا تبا لهذا العمل .. ها نحن نجنى ثمرته !..

ثم تقدم نحو أوكار الجرذان ، وأخذ يرقبها ، وقال :

ــ ترى هل سحبته الجرذان الى داخل أوكارها ؟!!

وأخذ كل واحـد منهم يبـدى رأيه ، فكانوا يتكلمون جميعا فى وقت واحد ، و «بنزنجتون» ينقل بصره بينهم فى قلق وحيرة ، وبدا الوجوم على وجوه الرجال وهم يرفعون رءوسهم متطلعين الى القمـر أو يخفضـونها ناظرين الى الارض من تحتهم ، وقد زاغت نظراتهم

وخطرت لـ «كوسار» فكرة طارئة جديدة ، فطلب بعض المصابيح . فسأله «ردوود» :

ــ لعلك تعتزم اقتحام الاوكار ؟!

ــ هذا ما سأفعله بالضبط ..

وألح «كوسار» فى سرعة موافاته بالمصـابيح ، فأخـذ

«بنزنجتون» يعدو مهرولا لتلبية طلبه .. بيد أنه التفت أثناء عدوه الى الوراء ، فلمح شيئا انخلع له قلبه فصرخ، وفى لحظة خاطفة انشقت الارض عند النبات الزاحف عن ثلاثة من الجرذان الضخمة ، أخذت تتقدم نحو «كوسار» دون أن يشعر هذا بها فى مبدأ الامر .. بيد أنه حين رآها شد من عزيمته ، ولكنه آثر الا يلجأ الى اطلاق الرصاص ، ولمحه « بنزنجتون » عن بعد وهو يسدد ضرباته الى رأس أحد الجرذان بكعب بندقيته ، ثم لمح الجرذ يقفز من شدة الالم ثم يهوى

واختفى «كوسار» بعد ذلك بين الاعشاب ، ثم ظهر وهو يهدد جرذا آخر بكعب بندقيته . وتناهت صرخة مكتومة الى أذنى «بنزنجتون» .. وأبصر بعد ذلك جرذين يلوذان بالفرار ، و «كوسار» يسابقهما الى وكرهما ... يظهر حينا وهو أشد ما يكون قوة ومضاء عزيمة ويختفى حينا آخر ، والجرذان تقفز وتجرى !

وعاد « بنزنجتون » الى «كوسار» .. ولكن الجرذان كانت قد اختفت .. فرأى «كوسار» هادئا ، وقال له هذا :

ــ انك لعمرى انشط من رفاقك .. هل أحضرت المصابيح ؟.. لقد عادت الجرذان الى أوكارها بعد أن صرعت واحدا منها .. هذا الذى تراه ..

وعقدت الدهشة لسان «بنزنجتون» فلم ينطق بكلمة

وأخيرا ظهر الرفاق ومعهم المصابيح تفصح عنهم بضوئها، فكانوا أشبه بشعلة متحركة وسط بهيم الليل ، وتناهت الى الاسماع أصوات تنادى :

ــ « فلاك » .. « فلاك » ..

ثم صوت آخر يقول :

ــ لقد أحكم على نفسه الابواب ..!

الفصل الرابع :

معركة فى المزرعة !



معركة فى المزرعة

بدا «كوسار» غريبا فى كل تصرفاته وأطواره ، فقد رؤى يحشو أذنيه بقطعتين كبيرتين من القطن مما عجب له « بنزنجتون» .. وكذلك ملأ بندقيته بمقدار من البارود، وهذه كلها أمور لم تكن لتخطر على بال أحد . بيد أن الذى حير العقول فعلا اختفاء حذاء « كوسار » الضخم فى وكر الجرذان الذى دلف اليه « كوسار » زاحفا على يديه وقدميه ، مستصحبا معه بندقيتين ربطهما الى نفسه ، ويرافقه واحد من رجاله مشهود له بالكفاءة والاقدام ، دلف هو الآخر الى الوكر منحنيا خلف « كوسار » ليبدد عتمة الوكر بالمصباح الذى يحمله : وقد ملأ أذنيه بالقطن ايضا

هكذا أحكم «كوسار» رسم الخطة ، فقد قصد أن يحمى بالقطن أذنيه من صدى الطلقات داخل الوكر . وهو بهذه الخطة واثق انه لا يخطىء الهدف فى اصابة الجرذان فى أوكارها الاسطوانية الشكل ، والتى ليس لها منفذ سوى الباب الذى دلف منه مع زميله ، ولاحظ «بنزنجتون» أن مرافق «كوسار» لم ينس أن يأخذ معه حبلا ليجر به الجرذان اذا اقتضى الامر ذلك . ووجد «بنزنجتون» نفسه يمسك يقبعة «كوسار» دون أن يشعر فقال فى نفسه انها على كل حال قد تكون تذكارا عزيزا لصاحبها

ورابط بعض الرجال أمام الوكرين الآخرين مستعينين

على تبديد الظلمة بمصباح ، وقد ركع اثنان منهما كل امام فتحة وكر مستعدا لاطلاق الرصاص اذا لمح الجرذان تخرج

وانقضت ساعة كأنها دهر ، ودوت أول طلقة أطلقها «كوسار» داخل الوكر .. فخيل الى الجماعة أن بركانا قد انفجر ، تلتها طلقات اخرى زادت من ارهاف حس الرجال. ثم تمكنوا من قتل اثنين من الجرذان التى حاولت أن تفر هاربة ، وصاح رفيق «كوسار» بأن شيئا ما يسحب الحبل الذى معه ، كما صاح «بنزنجتون» بأن فأرا قتل وأن من فتك به يريد حبلا ، ولاحظ حركة سحب الحبل الى الداخل فخيل اليه انه ثعبان . وأخيرا سكنت حركة الحبل ، وخيم على المكان سكون شامل . وخرج مرافق «كوسار» من فتحة الوكر على مهل ، كما خرج فى أثره « كوسار » وقد انعكس عليه ضوء المصباح . ثم عاد الى داخل الوكر ثانيا فقتل الجرذ الذى كان فى نهايته ، وبعد ذلك خرج وراح يتفقد الحظائر ليتأكد من خلوها من الجرذان ، ثم قال :

ـ لقد طهرنا المكان منها .. هل ترى يا «بنزنجتون» كيف ابتلت ثيابى بالماء وكيف أنى أتصبب عرقا .. لن يسعفنى لعمرى سوى قدح كبير من الخمر أتقى به شر البرد .. ولكنى لم اعمل حساب ذلك

وأفرط « بنزنجتون » فى الشراب فى ليلته بعد تلك الاحداث

وتراءى له انه كتبت عليه حياة حافلة بالاخطار والمغامرات أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة .. وأخيرا وقد هدأت أعصابه قليلا واستعاد رباطة جأشه ، مال على رفيقه المهندس الابيض الوجه الزرى الهيئة وقال له فى همس :

ـ لن تقدر لى العودة الى بيتى..!

ـ حقا ؟! . . .

ـ لا تخف يا صاح ..

ولاحظ المهندس أن «بنزنجتون» نطق بالجواب الاخير، وهو مكتئب منقبض الصدر

وأرهق الجماعة جمع الجرذان التى صرعوها والتى بلغ عددها سبعة ، وسط الهشيم الذى أعدوه ليكون وقودا .. وكان «بنزنجتون» أشدهم ارهاقا فقد أخذ العرق يتصبب منه بغزارة .. وتناول الجميع العشاء فى البيت وهم يتطلعون الى الجرذان الميتة ، واخيرا قال لهم «كوسار» :

ـ ما من شك فى أن علينا أن نقضى على كل أثر فى هذا المكان . . .

فراحوا يحطمون أخشاب الدار ، ويضعون مقدارا منها فى الامكنة التى نمت فيها النباتات ، كما وضعوا مقدارا آخر فوق الجرذان الميتة وصبوا عليها زيتا ليحرقوها

وكان « بنزنجتون » دائبا على العمل فى نشاط طول الوقت ، وقد استشعر لذة فى بذل تلك الجهود ، وان كان «كوسار» أكثر الجميع نشاطا ، فلم يتخلف عن رفاقه فى حمل الاخشاب من مكان الى آخر .. وبعد أن تم لهم ذلك قبيل انبلاج الصبح ، أخذوا يثقبون براميل الزيت ، وقال « كوسار » :

ـ أشعلوا النار فى كل شىء .. حتى الارض.. اجعلوها جرداء ..

ولمح « بنزنجتون » ما أصاب « كوسار » من هزال نتيجة إرهاقه . وحدث أن نبه بعضهم «بنزنجتون» الى الابتعاد عن المكان الذى كان يقف فيه

واندلعت النيران عند الفجر ، وسمع الجماعة أزيزها وهى تأتى على كل شىء ، وتمتد من مكان الى آخر ... واخذوا على عجل بنادقهم من حجرة « اسكنر » ، وجروا ومعهم «كوسار» .. ثم راحـوا يرقبون المزرعـة وهى تحترق ، يرتفع لهيبها ويتدافع دخانها الذى لبد الجو. ورأى اهل « هكليبراو » النار المندلعة فى ضراوة ، فهبوا من فراشهم يستطلعون الامر .. وسار «كوسار» يتبعه رفاقه الذين اشعلوا هذا الاتون حول القرية فى حذر بالغ حاملين بنادقهم

وتزاحمت الافكار فى رأس «بنزنجتون» .. وذهبت به كل مذهب ، وهو يرى بعينيه ما يحدث فى المزرعة التى أنشأها.. ورغم ذلك فقد شعر بالتقدير والاكبار لـ «كوسار» وأعجب بهمته التى لا تجارى ، وكان فخورا بحمله قبعته، يرى فى ذلك شرفا عظيما له ، وان كان «كوسار» لايدانيه علما

وفجأة لفت « بنزنجتون » قشعريرة شديدة ارتجفت لهاكل أوصاله ، واستشعر حنينا دافقا لأن يكون فى لحظته تلك مستلقيا فوق سريره فى منزله بشارع سلون ، ولم يخفف تفكيره فى ابنة عمه « جين » من حـدة حالته .. .. وشعر كأنه مخدر ، فقـد ثقلت بعد ذلك أطرافه ، وتساءل فيما بينه وبين نفسه :

ـ هل يمكن ان يقـدم لى انسان قدحا من القهوة فى هذا المكان ؟ ! ..

ان الليلة التى قضاها « بنزنجتون » حافلة بالاحداث ، لم تمر به ليلة مثلها فى السنوات الثلاثين التى انقضت من عمره ..

وفى الوقت الذى كان فيه هؤلاء الرفاق الشـجعان

يقضون على كل حيوان وكل نبات نما فى المزرعة بسبب الغذاء السحرى ، كانت هناك عجوز فى قرية نشيزنج آيبرت ، على مسافة تسعة أميال من المزرعة ، تعالج فتح صندوق صغير على ضوء شمعة هزيل ، كان بداخله ذلك الغذاء السحرى ، وهى تبذل مجهودا فوق طاقتها كى تفتحه فى غير ملل أو كلل ، وبكاء طفل يتناهى الى سمعها من الحجرة المجاورة

وقالت مسز « اسكنر » :

ـ رحماك ربى لهذا القلب الواهن ..

ثم راحت تعالج فتح الصندوق الصغير بفمها الذى لم يبق به سوى سنة واحدة ، وهى تستميت كى تفتحه

واخيرا تغلبت على الصندوق ، وتمكنت من فتحه .. فبرز منه ذلك الغذاء السحرى ، لينشر فى الدنيا اثره العجيب من النماء الخارق ..

جمعية محاربة الغذاء السحرى

لم تسفر تلك الحملة التى قام بها « كوسار » و « بنزنجتون » و « ردوود » ورفاقهم على المزرعة عن النتيجة المرجوة لها ، فلم يمنع ما قاموا به من أعمال ، النبات والضفادع والاعشاب من اطراد النمو ، ولم تقو النار على القضاء على تلك القوة الجبارة الكامنة .. بيد أننا سنضرب صفحا عن كل ذلك ، ونتجه الى أثر واحد خلفته هذه الحملة وذلك الغذاء السحرى ، أثر يتعلق بـ « بنزنجتون »

لقد وجد « بنزنجتون » الشهرة وذيوع الصيت ينتظرانه حين عاد الى لندن ، فقد عرف القاصى والدانى بأمره ، ونظر اليه الناس بعين غير التى كانوا ينظرون اليه بها من قبل . وصار موضوع أحاديث الناس ومقالات

الصـحف .. ولم تكن ابنة عمه « جين » أقل من غيرها معرفة بالامر ، وكان المتوقع أن يكون لقاؤهما فريداً فى بابه رهبة وتوجسا .. ولكنه لم يكن من الغرابة بالصورة التى جالت بذهن « بنزنجتون » ، فقد عادت تلك السيدة الطيبة وراجعت نفسها فى نظرتها الى حقائق الامور .. وفكرت من غير شك فى اعتبار ذلك الغذاء الجـديد من الاشياء الطبيعية .. بيد أنها وقفت منه موقفا وسـطا ، لا محبذة ولا معارضة ! ..

وكان لاحتجاب « بنزنجتون » عنها ـ وكانت تعد ذلك هربا ـ أثر شديد فى حالتها النفسية والعصبية . وضاق « بنزنجتون » ذرعا بالحاحها فى معالجته من برد توهمت أنه مصاب به ، وبمبالغتها فى نصحه بالتزام الراحة مع أنه ليس متعبا بل طلق التعب منذ أمد بعيد ، وباجباره على ارتداء ملابس صوفية يضيق بها !

وظل « بنزنجتون » ـ فى أعقاب تلك الاحداث ـ يتابع باهتمام التطورات التى تمخض عنها الغذاء السحرى ، الذى أحدث انقلاباً شاملا فى تاريخ البشرية ...

وألقى المجتمع والرأى العام تبعة اكتشاف ذلك الغذاء وانتشاره على عاتق « بنزنجتون » وحده ، دون أن يشرك « ردوود » معه ، وانتهت صلة « كوسار » بهذا الامر فى نظر المجتمع . وذاع صيت « بنزنجتون » وتلقفه مراسلو الصحف والمصورون يلتمسون أحاديثه وصوره لينشروها فى الصـحف والمجلات . وتواترت عليـه أنبـاء « غذاء الاجسام » ـ على حد قول بعضهم ـ وأثره

وتعرض « بنزنجتون » فى بعض الاحيـان لـكثير من ألوان السخرية ، راح الناس يتندرون بها ، بلغت حـد الطعن فى «بنزنجتون» والافتراء عليه .. ووصلته ذات

يوم قصاصة من جريدة ، بها مقال ساخر عنه عنــوانه «كارثة مروعة» .. كما حضرت الى بيته بعض السيدات الحسناوات ، غير عابئات بابنــة عمــه ، وطلبن اليه أن يمهر لهن بتوقيعه على سبيل التذكار ، كما اخذ الناس الذين لا يعرفهم يكتبون عنه المقالات المطولة ... حتى لقد كره الشهرة بسبب هذه الضجة ...

بيد أن الناس لم يحملوا له فى نفوسهم كراهية ، اذا استثنينا نفرا قليلا ، ولعلهم ظنوا أن الغذاء السحرى لن يظهر مرة أخرى ، أو غاب عنهم ان من سيتناولونه من الاطفال ستكبر عقولهم مع أجسامهم

وراح الناس يتندرون بتضخم الاموال بعد معالجتها بالغذاء السحرى ، وبالزنابير التى فرت ـ رغم موتها ـ من الفيران ، وبصور الدجاجتين الحيتين اللتين لم تبيضا بعد موت صاحبتيهما ، كما أخذوا يصورون مشــاهير الرجال وكبار الساسة فى أحجــام ضخمة لتناولهم ذلك الغذاء السحرى

ولم يمكن تحويل أفكار الناس عن هــذا الموضــوع الا بعد عناء كبير ، وبلغ من انشغال أفكار الناس به أنهم كانوا يصدقون كل عجيب أو قريب من الخيال

وقال « بنزنجتون » لـ « كوسار » ذات مرة :

ـ لعلهم فى الجهالة يتخبطون ... ولا يدركون ...

ـ أجل يا عزيزى ...

ـ ولكن ما موقفنا نحن .. انى لاتساءل .. كلمــا تصورت كيف سيكون طفل « ردوود » وأطفالك الثلاثة وقد يبلغ طول الواحد منهم أربعين قدما أو يزيد .. هل من المعقول أن نستمر فى اطعامهم ذلك الغذاء السحرى ؟

وعلت الدهشة أسارير « كوسار » وتوترت أعصابه ، وصاح بصوت جهير :

ـ ماذا تقول ؟ .. أتتساءل ؟ ... لماذا وجودك اذن اذا لم تستمر ؟ .. ألتقضى الوقت متسكعا فى الطرقات ؟.. هـذه فرصتك للحصول على نتائج باهرة وخطيرة .. فهل تريد أن تفلتها ؟!...

ثم أردف فى حنق :

ـ انك تحملنى على أن أتهمك بالمكر الخبيث ! ...

وعكف « بنزنجتون » على معمـله منـذ ذلك الحين بدافع لا يدرى كنهه ، ولا يعلم ان كان يسعى للوصول الى نتائج معينة أم لا .. لقد عاد الى أبحاثه فى رتابة وهدوء ، وأدرك مبلغ العظمة فى كشفه ، واسـتطاع ان يكون مالكا لبضعة أفدنة من الارض الجرداء ، وجال بخاطره انها احدى ثمرات أبحاثه الكيميائية ، ولا يمكن أن ينكر أحد انه بلغ ذروة الشهرة

ومع ذلك لم يتخل عن أبحاثه العلمية ، وكانت تمر به فترات يبرم فيها بما هو بسبيله ، لولا أن « كوسار » كان له بالمرصاد ، كالسوط فوق ظهره ، يدفعه ويستحثه على متابعة البحث .. وكان يتراءى له وهو غارق فى لجج معمله يخلط ويزن ويجرب ، وميض مبهم لمستقبل غامض فى طيات الغيب ، وينفذ ببصيرته الى آفـــاق المستقبل من خلال أبحاثه ، فيرى ما سيتمخض عنـه ذلك المسـتقبل نتيجة لابحـاثه عن كائنـات مفرطة فى الضخامة والفخامة والعظمة كأنها الاثر الخالد على مر الدهور .. وفى لحظة تختفى هذه الصور من مخيلتـه ودائرة أفكاره كأنها فقاعات تلاشت

وبينما كانت عجلة الزمن تسير ب « بنزنجتـــون » فى طريق الشهرة ، برزت فى محيط حياته شخصية نابغـة حتى لقد ظن أنها هى التى ترسم مستقبل اكتشافه ... فى شخص الدكتور « ونكلز » .. الشاب اللبق ذو الحجة القوية . وهو من سبق أن ذكرنا أن « ردوود » عهـد اليه بمهمة تزويد ابنه بذلك الغذاء . ولعل مركبـات الغذاء وعناصره لفتت نظـر الطبيب قبل قيـام تلك الضـجة ، ثم اثارت اهتمـــامه بالاكـثر حين علم بأمر الزنابير

خلق « ونكلز » للمجد ، فقد أهلته أخلاقه ونظـام عمله وتكوينه لذلك .. فقد كان قوى البنية ثاقب النظر مفتول العضلات رزينا ، نشيطا ، أنيقا فى ملبسه . وقد أولى هذا الطبيب اهتمامه بأمر هذا الغذاء وب «بنزنجتون» و « ردوود » ، حتى خيل الى « بنزنجتون » أن هـذا الطبيب هو صاحب الفضل الاول فى ذلك الكشف .

وذات مرة أشار « بنزنجتون » الى ما قد يتمخض عنه انتشار الغذاء من أخطار ، فقال له « ونكلز » :

ــ انها حوادث تافهة لا أهمية لها .. وما يهمنا انما هو جوهر الكشف ، تتضاعف قيمته بشىء من الاتقـان والعناية .. وعندئذ يسفر عن نتائج باهـــرة ، فيجب أن نواصل السعى حتى نصل الى غايتنا

وكان لا يمر يوم تقريبـا دون أن يزور « ونـكلز » « بنزنجتون » فى داره ، ومعه عدد من الصحف ، ثم يأخذ فى الادلاء بما لديه من معـلومات ، وبعـد ذلك يتدارسان « عملهما » ويتحدثان فيما يتناقله الناس عن ذلك الكشـف ، وعن استخدامه فى بعض المدارس ، كمـا أشار فى بعض أحاديثه وهو يوضح لمستمعيه فوائد الطعام

وخلوه من الخطر على الرغم من الضجة التى أثيرت حوله ، ولكن أحدهم ، ويدعى « كترهأم » هاجم الكشف والقائمين عليه ، وراح يسخر منه ومن نتائجه التى سيكون منها بلوغ الطفل ستا وثلاثين قدما طولا

فقال « بنزنجتون » :

ـ ولكنها الحقيقة اذا اطعموا ذلك الغذاء باستمرار وبطريقة منتظمة ...

فقال « ونكلز » :

ـ ولكن وجهة نظر « كترهام » هى شكه فى أن يسعدهم ذلك ، وفى أن يجعلهم اكثر صلاحية واحتراما للقوانين والسلطات القائمة ، وان هذا الغذاء سيكلف آباء الاطفال فوق طاقتهم .. لقد تساءل « كترهام » عما قد يترتب على ذلك .. فهو يرى فى التلميح أو التنويه اقتراحا يبنى عليه ما شاء من الخطوات والتكاليف ، وهو يهول الامور ويعقدها .. هأنت ذا ترى مقالهالطويل فى هذه الصحيفة ، انه رجل غريب الاطوار .. يعتور تفكيره جمود وقصور ، فهو يرى أن لكل أب مطلق الحرية فى ألا يزيد حجم الابن عن حجم أبيه .. ولا يكتفى « كترهام » بذلك ، بل ينتقل بثرثرته الى مقاعد الدراسة ومكاتبها وقماطرها ونفقات تغييرها بأكبر منها مما يتكلف نفقات باهظة ... ومن رأيه أن النتيجة التى نحصل عليها هى تنشئة جماعة من المردة الاشقياء .. ويختم «كترهام » مقاله بالتعليق على الاقتراح ـ الذى كان فى الحقيقة مجرد تنويه عابر أساء هو فهمه ـ قائلا بأن ذلك لا يحسم الامر ، وأن الغذاء فى نظره وفى رأيه شر يتهدد المجتمع ، وأن خطره يستشرى لانتشاره بشكل فظيع ، وأن الانسان اذا تناوله مرة فلا بد له من

الاستمرار فى تناوله والا تسمم جسمه وهلك ! ..

وعندما نطق « ونكلز » بالجملة الاخيرة ، قاطعه « بنزنجتون » قائلا :

ـ ان هذا صحيح ...

وأكمل « ونكلز » حديثه قائلا :

ـ ويقترح « كترهام » تكوين جمعية علمية للمحافظة على نسب المركبات ، وضمان عدم ضررها بالصحة العامة .. وان هذا الاقتراح لاقى قبولا عند الناس ..

فقال « بنزنجتون » :

ـ وماذا يريدون ؟ ..

ـ مما لا شك فيه انهم سيؤلفون جمعية ويلغطون بالكلام ويطالبون بتحريم صنع الغذاء أو على الاقل اخفاء أمره عن الناس .. وقد نشرت أنا مقالا يتناول ردا على آراء « كترهام » وصفتها بالمبالغة .. ولكن ذلك لم يكف لوقف التيار .. فقد انشأت جمعية الاعتدال فرعا خاصا بالاعتدال فى النماء .. اننى أعجب من موقف الناس من الغذاء هذا الموقف دون أن تكون هناك أسانيد تبرر ذلك ...

وغمغم « بنزنجتون » قليلا ، ثم قال :

ـ كنت أتوقع كل هذا اللغط بعد الضجة التى قامت .. انه ليبدو لى أن الامر جد خطير ! ..

وأخذ « ونكلز » يتمشى فى الحجرة ، وتوقف وتردد قليلا ثم غادر الدار ..

واستشف « بنزنجتون » من كلام « ونكلز » أن ثمة سرا رهيبا يريد البوح به والافصاح عنه ، وقد نوه عن هذا السر بصورة غامضة فى زيارة تالية

الطـفل المـــارد !



الطفل المارد

كان « ردوود » عند « بنزنجتون » حينما حضر «ونكلز»في زيارته التالية ، فقال لهما وهو يفرك يديه :

ــ هل من جديد ؟ .. ماذا تفعلان ؟

ــ اننا بصدد اعداد بيان تفصيلى ..

ــ التبعثوا به الى الجمعية العلمية ؟

ــ أجل ...

ونمت أسارير « ونكلز » عن أن لديه سرا عظيم الاهمية .. وسار نحو المدفأة ثم قال :

ــ هذا بيت القصيد ... هل تعلمان ان الامر يقتضيكما ...

ــ ماذا يقتضينا ؟

ــ هل يتحتم عليكما ان تعلنا .. ؟

فأجابه « ردوود » قائلا :

ــ أتظننا نعيش فى العصر الحجرى ؟!

ــ كلا بالطبع .. انى أعرف ذلك حق المعرفة ...

ــ ما من شك فى ان هذه هى الطريقة الايجابية المثلى .. وهذا راى « كوسار » .. ولا يخفى عليك أنه رجل اريب ...

ــ أرجو ان يوضع فى الاعتبار أنه كشف تنجم عنه

عواقب خطيرة ومتاعب لا يستهان بها اذا لم تراع الدقة في استعماله .. كما يكرر ذلك « كترهام » على الدوام ..

ولاذ « ردوود » بالصمت ، ولم يعلق على كلام « ونكلز » ، وكان واضحا للزميلين أن « ونكلز » كان صادق الرغبة فى مشاركتهما فى عمل ذلك الغذاء السحرى ، وأن يراجع التقارير التى تكتب عنه ، وبالجملة يسهم اسهاما فعالا فى الامر .. فكان لا ينى عن اطراء هذا العمل العظيم ، وأنه يتوقع له نتائج باهرة اذا اتخذت كافة الاحتياطات .. وأخيرا صارحهم برغبته فى معرفة طريقة تحضيره ، فقال له « ردوود » :

ـ هذا ما كنت أفكر فيه ..

فالتمعت عينا « ونكلز » وقال :

ـ وبعد ؟ ...

ـ لا شك انه من الاشياء المحفوفة بالاخطار لان من السهل مجانبة الحكمة فى استعماله ...

ـ ولكننى ابعد ما أكون عن ذلك ! ...

ـ بل انك لست معصوما من سوء التصرف ...

وظل « ونكلز » يفكر يومين فيما قاله « ردوود » ، عاد اليه بعدهما وطلب منه أن يعفيه من مهمة الاشراف على اطعام ابنه بمادة يجهل تفاصيل تركيبها ودقائقه ، وانه بقيامه بهذا العمل يعرض نفسه لتحمل مسئولية جسيمة وخطيرة .. وذهل « ردوود » مما قاله « ونكلز » ، بينما قال هذا محاولا تغيير مجرى الحديث :

ـ أعتقد أنكما تعلمان أن دائرة « جمعية تحريم الغذاء السحرى » قد اتسعت رقعتها .. حتى ليقال ان عدد

اعضائها نيف على عدة آلاف ..

وسكت « ونكلز » قليلا ، ثم أردف يقول :

ـ على أن الحقيقة التى لا يمكن مداراتها أن الرأى العام له اعتباره ، وأن للناخبين شأنا لا يستهان به .. وقد أصبح ظاهرا للعيان أن ما أنتما بسبيله سيتمخض ولا شك عن نتائج خطيرة واضطرابات .. الامر الذى تنفر منه الطبيعة البشرية .. وان كان يبدو لى أن الناس ينظرون بعين الشك ، بل لا يصدقون ما يذكره « كترهام » عن أولئك الذين سيبلغ طول الواحد منهم اربعين قدما .. فيتعذر عليهم دخول الكنائس والمنازل والمنتديات والمعاهد والمدارس . الا انهم يعتقدون انه ستحدث تطورات فى المستقبل ، وأن ذلك المستقبل سيتمخض عن كشف خارق لا يخطر على بال ..

ـ كل كشف يعتبر غريبا فى بابه .. والا فلماذا ندعوه كشفا ؟! ..

ـ ان القلق يزداد لدى الناس على أى حال .. « كترهام » دائب على أن يعلن للناس ما سوف يحدث اذا تداول الغذاء السحرى بينهم دون أن يعمل القائمون على تحضيره حسابا لذلك .. ولم تجدتصريحاتى ومقالاتى للقضاء على هذه المخاوف

ثم نهض « ونكلز » واقفا ، متوتر الاعصاب ، ولاح أنه يريد استئناف الحديث عن أسرار تركيب الغذاء السحرى .. بيد انه بعد شىء من التفكير عدل عن ذلك وغادرهما

وعقدت الدهشة لسانى الزميلين ، وراحا يتحدثان بأعينهما ـ وهما ينظران الى بعضهما البعض ـ وبعد فترة صمت قال «ردوود » فى رزانة :

ـ سأقوم ـ اذا تعقدت الامور ـ بمهمة اطعام ابنى بهذا الغذاء بنفسى

***

يبدو أن القاعدة التى سرت عليها سنة الطبيعة من حب الامهات لابنائهن وتعلقهن بهم تعلقا لا نظير له ، ولا يعدله حب فى الوجود ، أو تعلق أيا كان الباعث له ، قد طرأ عليها ما اعتورها وبدلها .. فها نحن نرى هذه الظاهرة فى علاقة مسز « ردوود » بابنها، فرغم حبها له وتعلقها به ـ حتى بلغ الطفل الشهر السادس من عمره ـ فقد برمت به وحطمت ذات يوم عربته ثم اضطرت الى نقله الى البيت فى عربة اللبن وهو ثائر صاخب . وبلغ وزن الطفل فى ذلك الحين ستين رطلا كاملة وارتفعت قامته حتى بلغت خمسين بوصة ، وصار فى مقدوره ان يحمل بيديه شيئا فى مثل وزنه ثقلا ، وكانت الخادمة تنوء بحمله فيتعاون معها الطباخ على ذلك . ولم يمض وقت طويل حتى كشف المستور وعرف ما كان خافيا من الامور ، حين عاد « ردوود » ذات يوم الى البيت ٠٠ فما أن رأته زوجته حتى قالت له وهى تبكى :

ـ لقد تضاعف حجمه أضعافا .. واضحى مخلوقا مخيفا خارقا للمألوف ٠٠ !

ـ ما هذا الهراء الذى تقولينه ٠٠ الا ترين حيويته البادية ، وقامته المنتصبة .. لم تنجب امرأة غيرك مثله ! ٠٠ أليس ذلك جديرا بالاعجاب ؟ ٠٠ هل يضيرك هذا ؟

ـ ألا ترى حجمه الضخم ؟!..

ـ أى ضرر فى ذلك ؟.. اليس ابننا رائعا بالنسبة للاطفال الصغيرة الوضيعة التى من حولنا .. اليس هو اكثر منهم جمالا واعظم بهاء وروعة ؟ ! ..

ـ ان جماله يفوق الحد المعقول ..!

وطمأنها « ردوود » مؤكدا لها أنه نمو موقوت فى بداية عمر الطفل .. وان كان فى قرارة نفسه يعلم يقينا أن النمو مطرد ومستمر ، وهذا ما حدث فعلا .. فقد بلغ طول الطفل اثنتى عشرة قدما الا قليلا بعد ستة شهور أخرى ، كما زاد وزنه زيادة هائلة اذ بلغ مائة وعشرين رطلا ، وصار فى حجم التماثيل التى نراها فى الكنائس . وراح الناس يتندرون بشدة بأسه وهو يعبث بشعر الزائرين او يمسك بتلابيبهم . وجعل له كرسى خاص يتناسب مع حجمه ليحمل فيه من حجرته واليها .. وجىء له بمربية مفتولة العضلات ، قوية البنية ،لتتمكن من كبح جماحه والتمكن من زمامه ، فكانت تحمله على ركوب عربة كبيرة عملت له خصيصا حين يراد الخروج به الى النزهة

وكان « ردوود » ثاقب النظر ، أريبا جمع بين العلم والخبرة العملية ..

وعندما تنجاب الدهشة عن كل من تقع عينه على ضخامة الطفل المفرطة ، لا يلبث ان يلمح فيه الذكاء والجمال . وقد أقر بذلك ورردده كل من رأى الطفل عن كثب أثناء نزهاته اليومية .. والظاهرة التى بدت واضحة أكثر من غيرها هى ان الطفل كان لا يجنح الى البكاء ، ولا يبرم أو يضيق اذا لم يسله او يداعبه أحد ، وكان يتلهى بلعبة ضخمة تصدر أصواتا مجلجلة .. وكان يحيى المارة وهم سائرون ورجال الشرطة الذين يمر بهم ، ويخاطبهم بلهجته الطفلية فى دماثة وسذاجة ..

ولاحظت أمه اطراد نمائه دون توقف ، وقد لفت نظرها الى ذلك حين جىء له بعربة جديدة ، فشملها

الحزن والاسى ، وأبدت عدم رغبتها فى الدخول الى غرفته بعد ذلك .. بل صرحت بأنها كانت تتمنى لو انها ماتت قبل أن تراه ، او لو انه مات حين ولد ، وبرمت بالدنيا وبالناس ، وودت لو أن جميعهم قد ماتوا .. ولو انها لم تتزوج وتنجب ، بل تمنت لو أن أحدا على الاطلاق لم يتزوج !

وكان لكل ذلك أسوأ الاثر فى حالتها النفسية ، فلاذت بحجرتها ولزمتها ثلاثة أيام لا تبرحها قط ، ولا تتزود من الطعام الا بالقدر الذى يقيم أودها .. ولما توجه اليها زوجها « ردوود » ليهدىء من جأشها ، اندفعت فى فورة جامحة وراحت تلطم الوسائد وتشد شعرهاوقد انخرطت فى بكاء مرير .. فقال لها «ردوود » :

ــ لم كل هذا الذى تفعلين ؟ .. هل ترين فى ذلك أذى لحق به ؟ .. على العكس يا عزيزتى ، من الافضل له ان يكبر .. هل يرضيك ان تريه قزما بالنسبة لغيرم من الاطفال ؟!..

ــ بل اريد ألا يختلف عنهم ، فلا يكون اكبر منهم او اصغر .. كنت اتمنى ان يكون معتدلا ظريفا مثل « جيورجينا » .. تلك الطفلة الجميلة ، وان اتمكن من تربيته بنفسى بالطرق المعهودة .. ولكن اواه « وخنقها البكاء » هأنت ذا تراه ينتعل أحذية الرجال ، ومع ذلك تضيق بقدميه المرعبتين .. ويحتاج لعربة ضخمة لتنقلاته ..

وعادت تبكى من جديد ، وهى تقول :

ــ كلا .. كلا .. ليس فى مقدورى ان احبه مطلقا .. لا استطيع ان اتصور أو ان اكون امه .. وقد كانت تلك امنيتى ! ..

وبعد عناء شديد استطاعوا أن يحملوها على الدخول الى غرفة طفلها «أدوردمنسن» حيث رأته ماردا ضخما، وقد جلس يتأرجح على كرسى هزاز كبير زود بدعائم لتجعله اكثر احتمالا لثقل الطفل .. ثم رأته يبتسم ويغمغم قائلا « جو .. وو .. » ، وفى هذه اللحظة استيقظت فى نفسها عاطفة الامومة ، فأقبلت على الطفل وضمته الى صدرها وهى تبكى ، وقالت :

ــ لعمرى ماذا فعلوا بك يا بنى ؟ .. ستظل تنمو .. ولكنى سأبذل ما فى طاقتى لانشئك تنشئة طيبة .. وليفعل والدك ما يريد ..

وغادر « ردوود » حجرة الطفل وقد زايله معظم قلقه ، وهدأ اضطرابه ..

لجنة خاصة

انقضت بعد ذلك بضعة أيام ، وتصفح « ردوود » احدى الجرائد ، فقرأ فيها أن رئيس الوزراء بصدد اصدار قرار بتكوين لجنة خاصة لبحث موضوع الغذاء السحرى ، فقال « ونكلز » :

ــ لعمرى انها فكرة رائعة موفقة .. ولاشك عندى فى أنها ستضع حدا لهذه الضجة القائمة ، وتهدىء من فورة النفوس الثائرة ، وتلجم لسان « كترهام » .. بيد أنه ليس من اجل ذلك جئت يا « ردوود » .. وانما..

فقاطعه « بنزنجتون » قائلا :

ــ لشد ما أكره فكرة تلك اللجنة العلمية !..

ــ هدىء من روعك ياعزيزى .. اننى على ثقة من ان الموضوع سيسوى على أطيب وجه .. ولا اكتم عنك

انى ربما اكون احد اعضـــاء تلك اللجنة التى تتوجس منها ...

فأخذ « ردوود » يغمغم وقد سرح بنظره الى نار المدفأة ، واستطرد « ونكلز » يقول :

ـ وفى هذه الحالة ستهيأ لى الفرصـــة ، ويـــكون باستطاعتى أن أعيد الامر الى نصابه ، وان أقيم لهـــم الدليل الذى لا يتسرب اليه شك بأن فى الامكان التصرف بحكمة فى أمر ذلك الغذاء .. وان المأساة التى حدثت لن تتكرر الا اذا طرات ظروف لا تخطر على بال ، خارجة عن الارادة .. وأعتقد أن فى ذلك مايقنعهم ، فانهم بحاجة الى توكيد من انسان مسئول .. وبديهى أننى ســأكون أقدر وأقوى حجة على اقناعهم اذا عرفت .. على اننى اقول ذلك عرضا عن غير قصد .. بيد أن هناك مشـكلة تشغل بالى وتحيرنى أحب أن أسمع مشورتكما فيها .. وانا واثق أن باستطاعتكما معاونتى على حلها ..

ولاح السرور على أسارير « ردوود » وهو ينظـر الى « ونكلز » فى انتباه ، واستطرد هذا يقول :

ـ ولكن الامر على جانب كبير من الاهمية .. وهوسرى للغاية ..

فهتف « ردوود » نافد الصبر قائلا :

ـ ألق بما عندك ولاتخف ..!

ـ لقد كلفت منذ وقت قريب بأمر طفل يمت بصلة وثيقة الى احدى الشخصيات البارزة ...

قال « ونكلز » ذلك ثم سـعل ، وأدرك « ردوود » ارتباكه من تردده ، فقال له :

ـ جال بذهنى انك تعارض فى اسـتعمال هـــذا الغذاء ...

ــ كان هذا رأيا عارضا .. وانتهى ..
ــ وهل مازلت عند موقفك من .. ؟
ــ انني على أتم استعداد لمتابعة مباشرة طفلك ..
ــ ليس يخفى على أن حرمانه من الغذاء سيورده مورد التهلكة ..
ــ وأنا أربأ بنفسي من أن أكون السبب ..ولو اعطيت كنوز الدنيا
وعندئذ قال « ردوود » :
ــ اذن فسنزودك بما تحتاج اليه من هذا الغذاء ..
ــ وهل تسمحان ..؟
ــ اسمع يا « ونكلز » .. أرجو الا تثيرك صراحتى أو تغضبك .. أن تركيب الغذاء ليس مكتوبا أو مفصلا على ورق ... فدعك من ذلك ، سأعد لك الغذاء بنفسي ..
فحدق « ونكلز » فى « ردوود » لحظة ، ثم قال :
ــ امرك ياعزيزى .. سيان لدى هذا أو ذاك ... وليس ذلك عندى بذى بال

***

ونحن فى غنى عن القول بأنه ليس من الميسور أن ينظر الناس الى الغذاء السحرى نظرتهم الى الشىء العادى أو المألوف ، ذلك لان النماء المفرط ظاهرة خارقة للناموس الذى جرت عليه الطبيعة البشرية . ومن العسير استنتاج قواعد محددة ، أو قوانين معينة ، أو معايير دقيقة ، للاثر الذى ينتج عن هذا الغذاء .. بيد ان نطاق تاثيره يتلخص فى تقبل الجهاز الهضمى له ، فى شكل من الاشكال ، يضفى قوة على جسم الشخص ،فيضاعف

النمو الطبيعى الى ستة أضعاف أو يزيد .. بيـــد انه لايتخطى ذلك مهما بلغت كمية الغذاء ، وزيادة الـكمية عن المقدار الضرورى تؤدى الى عواقب وخيمة منهـــا اضطراب التغذية ، والسرطان ، وتحويل بعض أعضـــاء الجسم الى عظام . وبناء على ذلك فان من الضرورى عند بدء النمو ، تقديم الطعام بانتظام وبلا انقطاع ، فى جرعات قليلة ولكن كافية ..

وجدير بالذكر أنه اذا توقف اطعـــام الطفـــل بذلك الغذاء بعد بدء نموه ، فانه ينجم عن ذلك أن الطفـــل يصاب بحالة قلق غامض ، وعدم استقرار ، ومسحة من الكآبة .. وتمر به فترة تبدو فيها شراهته ، وعنـــدما يشعر بالجوع يأخذ فى الصراخ ، ثم يصاب بفقر فى الدم، وتقضى عليه العلة فيموت ..

كل هذا يحدث فى فترة النمو .. أما عند بلوغ ســـن المراهقة ، فان اللهفة على الغذاء تقل ، وكذلك الرغبـــة فيه ، وتنعدم الحاجة الى الغذاء عند اكتمال النمو ، اذ يكون الشخص قد بلغ نقطة الاكتمال ..

وماهى الا فترة من الزمن حتى أصبح « ادورد منسن ردوود » ، أول طفل غذى بالغذاء السحرى ، طليعـــة هذا الجيل الفريد ، يحبو بضخامته فى أرجاء حجرته ، يحطم الاثاث ويقرض كلبيه ، ويعض مربيته بأســـنانه ، ويجأر بالصراخ والصخب مناديا مربيته وامه واباه .. هذا الذى فعل به مافعل ...

واضطروا لاعداد بناء خاص به ، وأدوات خاصة تتحمل ضخامته المفرطة ...

ثورة فى الاحيـــاء

كان فى استمساك « ردوود » وحرصه على اخفـــاء سر تركيب الغذاء السحرى وعناصره عن « ونكلز » اكبر حافز لهذا الاخير على هواية الكيمياء التحليلية واجراء الابحاث ، بيد أنه لم يكن على مستوى كبير من الـكفاية والمثابرة .. فكان يجرى تجاربه بفتور وفى معمل صغير غير مكتمل الادوات ، أنشأه بحديقة أحد البيوت ؛ ولم يلبث ان توقف عن مواصلة العمل توقفا تاما

وحدث أن كسرت بالوعة معمله فتسربت الميـــاد من ثقوبها ، وكان الفصل ربيعـا ، الى البركة المجـــاورة للحديقة التى بها معمله ، والتى نبت فيها بعض الغاب.. فدبت حياة عجيبة فى كل ما فى البركة من نبات وما فيها من كائنات حية ، اذ كانت بها ضفادع صغيرة وقواقـع وديدان وخنافس مائية كانت فى طريقها الى الانبثاق من البويضات تحت جذور الغاب

وكان أول ما ظهر فيه تأثير حبات الغذاء السحرى هو الضفادع والقواقع .. فقد أقبلت عليه الضفادع فى نهم ، ونمت أحداها وابتلعت ضفدعة صغيرة ، فهاجمتها خنفسة مائية بأشواكها الحادة .. فنفـــذ الى جوف الخنفسة بعض دم الضفدعة المشبع بالغذاء السحرى

وتغذت بعض النباتات الناميـة والاعشـــاب التى بالمستنقع بما حمله اليها المـــاء الذى غسلت به أرض المعمل من الغذاء السحرى ، فابتدأ التنازع على الحيـــاة يظهر بوضوح علي كل مافى البركة . وكشف عن هـــذه الظاهرة أستاذ فى العلوم يدعى « كرنجتون » كان يعنى بدراسة نباتات المياه العذبة ، جاء الى هذا المكان ليأخذ

فى أنابيب بعض تلك النباتات ليجرى عليها ابحـاثه . وكان فى سيره يتوكأ على عصا ، فلفت نظر فتى كان يقلم أشجار سور حديقة الدكتور « ونكلز » ، فأخذ الفتى يرقب الرجل فى اهتمام

ورأى الفتى الاستاذ « كرنجتون » وهو يتكىء وينحنى على حافة البركة ، ولكنه لم يدرك سبب الدهشة التى ظهرت على أسارير الرجل حين رأى ما طرأ من تغير على عقد النبات وخيوطه ، ودفع الرجل ذراعه الى قاع البركة ليأتى ببعض النبات ، فانطلق كائن عجيب غرس أنيابه فى ذراع « كرنجتون » .. وبجسمه عقد كالعقرب ، فذعر الرجل من منظره البشع وخارت قواه من شدة الالم الذى خلفته اللدغة فى ذراعه ، فانكفأ على وجهـه فى البـركة وصرخ . ورآه الفتى وهو يختفى وسمع صراخه ولمح صراعه ، ثم رآه ينتصب قائما عارى الرأس وقد لفه ذعر شديد والماء يقطر من جسمه

ولم يكن الفتى قد سمع صراخ رجل قبل ذلك ، ورآه يحاول جاهدا أن يزيح عن وجهه شيئا علق به وقد أخذت قطرات الدم تتساقط منه .. ولما لم يستطع ان يتخلص من ذلك الشىء الغريب الذى أمسك بتلابيب وجهه ، قفز كالمجنون وجرى بضع خطوات ثم وقع على الارض وهو يتقلب

وهبط الفتى الدرج وهرول الى حيث وقع الرجل وقد أخذ معه مقص الحديقة ، ثم فكر فى العودة من حيث اتى خشية أن يكون الرجل مجنونا ، ولكن وجود المقص معه شد من عزيمته . ولما رآه « كرنجتون » هدأ روعه قليلا ، وان ظل فى حالة يرثى لها ، اذ كان يقف ثم يقع ثم يقف ثانيا ثم يقع ، وقال للفتى :

ــ اننى ــ كما ترى ــ عاجز عن نزعها عن وجهى !

وروع الفتى لرؤيته الديدان الضخمة العالقة بوجه الرجل وبذراعه وفخذه ، تضرب بجسمها فيه بعنف وقد غاصت أفواهها فى لحمه وراحت تمتص دمه ، وتمزق لحمه وهو يحاول نزع الديدان ، وسال الدم على وجهه وثيابه ، فصاح الفتى :

ــ عليك أن تمسك بها وسأقوم أنا بتقطيع أجسادها بهذا المقص الذى احمله

وراح الفتى بعزيمة الشباب يفصل رءوس الحيوانات عن أجسامها ، والرجل لا يتوقف عن الصراخ . وبلغ من ضراوة تلك الحيوانات أن رءوسها كانت ، حتى بعد أن فصلت عن اجسامها ، تلدغ فى لحم الرجل وتمتص دمه ، والدم ينساب منها عليه ، وقد أصيب «كرنجتون» ببعض الجروح من المقص

وراح «كرنجتون» يكرر قوله « لم أستطع أن أنتزعها » وظل فترة من الوقت يترنح ، والدم يسيل من جروحه غزيرا ، فكان يتحسس الجروح ويضغط عليها فى ذهول وكأنه لا يصدق ما حدث . وأخيرا تهالك « كرنجتون » وانكفأ على وجهه أمام الفتى ، ورأى أعضاء الحيوانات التى فصلت لا تزال تنبض بالحياة وتقفز أمام عينيه !

وعاد الفتى الى الحديقة يستنجد بمن فى البيت ، وقص ما حدث على سائق عربة البستانى ، ثم عاد ومعه السائق الى حيث يوجد « كرنجتون » فوجداه خائر القوى ذاهلا ، ومع ذلك فقد حذرهما مما فى البركة من اخطار

***

وهكذا افلت الزمام للمرة الثانية فى أمر ذلك الغذاء

السحرى ، وغدت « كستن » مرتعا خصبا له ، ينتشر فيها .. ولم يقتصر الامر فى هذه المرة على الزنابير والجرذان والنمل ، بل ظهرت عناكب مائية وديدان ذباب فارس ، لم تلبث أن نمت وضاقت بها سماء « كنت » ، وكذلك احتشدت البركة بالنباتات الكثة اللزجة التى زحفت الى حديقة « ونكلز » وكادت تتسلق داره .. وحال جفاف البركة دون نمو أنواع أخرى من النباتات

واتضح فيما بعد أن هناك أكثر من مرتع خصب واحد لهذا الغذاء السحرى ، فقد ظهر تأثيره فى « ايلنج » التى انتشر فيها الذباب والعناكب ، وكذلك فى « سنبيورى » حيث نمت كلاب البحر الضارية التى راحت تقفز من البحر وتفترس الاغنام ، كما ظهر فى « بلومزبرى » نوع من الصراصير الضخمة المرعبة

وهكذا اتسعت الرقعة التى انتشر فيها تأثير الغـذاء السحرى ، وقد كان المظنون ان الامر وقف عند «هكليبراو» وتعددت أنواع الكائنات التى راحت تنمو بصورة خارفة مفزعة .. وكان فى كل مكان نوع من الكائنات والنباتات يختلف عما فى الآخر

وكان الدكتور « ونكلز » يتردد على هذه الامكنة ليعود مرضى له فيها ، بيد أنه كان حريصا على تهـدئة خواطر الناس تجاه هـذا الامر الذى روعهم وأثار ثائرتهم .. فكانوا يلعنون ذلك الغذاء ، ويلعنون معه « بنزنجتون » اذ وقر فى اذهانهم انه سبب هذا البلاء

ومن ذلك الحين ، أخذ الخطر يتهدد حياة «بنزنجتون» فقد ارادت الجماهير الثائرة أن تفتك به لتجعل منه عبرة لأمثاله ، وكانت مجرد اشارة من واحد منهم كافية للقضاء عليه .. بيد انه لم يشعر بهذا الخطر الا حين تناهى الى

سمعه صخب الناس وصـــياحهم أمام بيته ، فأطل من النافذة ورأى الجمع الحاشد الذى راح يتدافع ويقاوم رجال الشرطة ، فأدرك عندئذ أنه المقصود بكل هذا .. ولم ينج منهم الا بجهد شديد ، وترك الغوغاء يتلفون داره وما فيها

وخرج هذا العالم الفذ متنكرا فى ثياب نسائية ، يتعثر فى السير ـ وقد تقمص شخصية امـــرأة ـ وراح يصب اللعنات على « بنزنجتون » بلهجتهن ، وقد بذل جهدا فى تصنعها واتقانها ، كأنه أحـد أفراد الشعب الذى جاء ليفتك بالعالم ، واخترق فى سيره ممرات البيت المجاور ثم اشترك مع الحشد الثائر

وبعد أن نجا « بنزنجتون » بحياته ، توقف نشـــاطه العلمى وانقطعت صلته بأمر الغذاء السحرى الذى تطور وانتشر ، والذى كان هو مكتشفه ..

***

وعلى هذه الصورة احتجب العالم العبقرى «بنزنجتون» مكتشف الغذاء الســحرى الذى هز أركان الدنيا ، عن مسرح الاحداث ، وطوى أمره ، فلم يسمع به ولم يره أحد .. بيد أن واجب الوفاء يقتضينا أن ننوه بما حدث له فى أواخر أيامه ـ حين ظهر فى تنبردج ويلز ـ التى ظهر فيها بعد اختفائه الذى لم يطل ، وقد تبين له أن فورة غضب الناس انما هى حالة جامحة عارضـــة موقوتة ، فحفزه ذلك على الظهور ، تشد من أزره ابنة عمه «جين» .. وجعل كل همه أن يزيح عن نفسه أثر الصدمة العصبية التى أصابته ، مبتعدا عن أى نشـــاط ، لا يلقى بالا الى الضجة القائمة حول المراتع الخصبة التى تفشى فيها أثر الغذاء السحرى ، ولا بالاطفال الذين يطعمون به

وأقام « بنزنجتون » فى فندق الاستشفاء المائى عند مونت جلورى ، حيث توجد حمامات لعلاج أنواع شتى من الامراض . وبذل نشاطه وقواه للسير قدما بهذا النمط من العلاج .. ومات «بنزنجتون » قبل أن يبلغ به الذروة التى كان يرجوها

واعتاد فى تلك الحقبة من حياته أن يركب احدى العربات أو يسير على قدميه اذا لم تكن آلامها شديدة ، ميمما شطر عين الماء حيث يقضى ساعة او بعض الساعة ينهل من مائها المعدنى ، وابنة عمه « جين » ترمقه بنظراتها الحانية

هل هو وباء ؟

شأن كل امر من الامور ابتدأ الغذاء السحرى شيئا بسيطا حين اكتشفه « بنزنجتون » .. ولكنه اخذ يكبر ويعظم شأنه وتتشعب آثاره . ونحن اذ نتناول موضوع انتشاره ، فكأنما نتتبع امرا ليس ثابتا على حال ولايقف عند حد .. ففى مدى لايتجاوز ربع قرن على بدء اكتشاف الغذاء السحرى وتجربته فى مزرعة «هكليبراو»، انتشر انتشارا لا يتصوره عقل ، وملأت انباؤه اعمدة الصحف .. ولم تقتصر على انجلترا بل انتقلت عبر البحار حتى بلغت امريكا واليابان واستراليا ، وبعد ذلك تناولتها صحف العالم كله بالتحليل والتعليق .. وكان موضوع الغذاء السحرى يقابل بكثير من الاعتراض والمقاومة بسبب ضخامة آثاره وغرابتها ، بيد انه رغم كل ذلك فقد زاد انتشاره بالرغم من العراقيل والقوانين التى وضعت للحيلولة بينه وبين التداول ، وبالرغم من استمساك الناس بما درجوا عليه

وفى خلال هذه الحقبة من الزمن ، كان الاطفال الذين

يطعمونه ينمون نموا خارقا مطردا .. وقد لفتت هـذه الظاهرة انظار الناس وانتباههم ، وسرعان ما كان جميع الاطفال يكبرون وينمون ، فقـد استعصت الحيلولة دون تسرب الغذاء وانتشاره ، كأنه مارد جبار لا تقف فى وجهه قوة من القوى مهما عظمت . والسر فى ذلك ان الدقيق الذى يحتوى على مقدار من هذا الغذاء يتحـــول مع حرارة الجو الى مسحوق اشبه بالغبـــار البالغ الدقة بحيث لايمكن الحيلولة بينه وبين الانتشار فى الهـواء ، فتتنفسه الحشـــرات وتنمو .. ويتسرب الماء المشرب به من البالوعات ، فتشربه الجرذان وما اليها من حشرات فتنمو . ولاحظ سكان احدى القرى نمو النمـل بها ــ على غير المألوف ــ فعمدوا الى ابادة ذلك النمل بعد ان عض ثلاثة رجال ماتوا بسبب العضة ، مما بث الذعر فى النفوس

وكانت هذه حال كل مكان يظهر فيه أثر ذلك الغـذاء .. ذعر يعقبه صراع وكفاح حين ينمو نبات أو حيـوان على خلاف المألوف نموا مروعـــا . وكان الذباب الذى ينمو بهذا الغذاء من القوة بحيث يســتطيع الفتك بأى شىء ، فكان الناس يتتبعون الكثير من الانبـاء عن انتشار ذلك الغذاء فى اماكن لم يسمعوا بها ولا يتصـورون كيف وصل اليهـا ، ويقرءون ألوان الكفـاح بالســلاح وغير السلاح الذى يعقب ذلك الانتشار ، حتى صـار هـــذا الكفاح أمرا مألوفا لدى الناس ، تفننوا وبرعوا فيه .. وذاع صيت « كترهام » لما اظهرته مواهبــه من ابداع فى الخطابة وقوة الاقناع وذلاقة اللسان

وكان الاطفال الذين يطعمون هذا الغذاء ينمون شـأن كل كائن حي يسير على سنة النمـــاء ، وقد تطـورت

شئون الحياة وأعدت الدنيا نفسها لاســـــتقبال هؤلاء الاطفال ، بقوتهم الهائلة وارتفاع قاماتهم ، ونمو ادراكهم .. فكانوا افضل منغيرهم فى كثير من الشئون ، وارتفعوا بأنفسهم بما يتناسب ومستقبلهم الذى تعده لهم المقادير، ولم يلبثوا أن صاروا مألوفين بين الناس رغم ضخامتهم وارتفاع هاماتهم . وتناقل الناس اقاصيص اعمالهـــم الجبارة ، وابدوا اعجابهم ، وان كانــوا فى الحقيقة لم يعجبوا لها . وراحت الصحف تكتب الكثير عن ابنـــاء « كوسار » الثـــلاثة ، الجبـــابرة المدهشـين الذين باستطاعتهم حمل المدافع الكبيرة وقضبان الحديد الثقيلة الى مسافات طويلة .. ويبلغ طول القفـزة الواحـــدة للواحد منهم مائتى قدم بل اكثر . وقيل انهـم حفروا بئرا لم يسبق ان حفر فى مثل عمقها احد على مر الزمن، ويزعم ناقل الخبر انهم كانوا يبحثون عن كنز دفـين فى اعماق الارض منذ بدء الخليقة

ونشرت المجلاتان بمقدور هؤلاء الاطفال ان يزحزحوا الجبال عن اماكنها ، وان يشقوا الارض ، ويقيموا جسورا فوق البحار المترامية .. بيد ان بعض الناس يقـــول ان ذلك ضرب من الوهم والخيال . ولكن الحقيقـة ان كل ماكان يقال أو ينشر كان بمثابة النذر الاولى لما سيتمخض عنه ذلك الغذاء السحرى ، وان كانت الافعال التى تبدر منهم من قبيل عبث الاطفال واظهار القوة فى غير مـــاداع او نفع .. فهم لم يخرجوا عن أنهم أطفال وان كانوا من سلالة جديدة ، وكان واضحا ان ارادتهم الجبـارة لابد أن تتجه بعد اكتمال نموها الى غاية معينة

***

اشتهر قسيس تشيزنح آيبريت بالجمــود وعـــدم

التجديد ، وكان هادئا محبا للجد متشـــبثا بكل ما هو قديم . وكان الناس يجهلون رأيه فى الكرات النبـــاتية الهائلة المنتفخة ، حين عثر عليها منتشرة على طـــريق القرية وعلى التل القريب منها ، وهو طريق القس فى ذهابه الى الكنيســـة وعودته منهـــا يوميـــا .. وراح القسيس يتفرس فى كل واحدة من هذه الكرات القريبة التى زاد عددها على الثلاثين ، ويقلبها بعصاه . وأراد ان يعرف طول محيط الكرة بذراعيه فانفجرت فوق صـــدره وبين ذراعيه المفتولتين القويتين !

ولم يدر الرجل ما اذا كانت الكرات البيضاء موجودة بالطـريق التى سلكتها المرأة العجوز فى اليـــوم السابق ، او تنبه الى آخر كرة منها تفتحت عـــلى مقربة من كوخ « كادلز » ، لانه لم يكلف نفسه عناء تسجيل ملاحظـــاته ومشاهداته ، فقد كانت ملاحظاته تنحصر فى اشــــياء معينة ، لا يلقى بالا الى كل ماعداها

كذلك لم يتنبه الرجـــــل الى ان هناك ارتبــــاطا بين الظاهرة التى رآها وبين نمو طفل « كادلز » نمـــوا عجيبا ظل يستمر بضعة اسابيع ، منـــذ توجه « كادلز » الى والدة زوجته حيث استمع الى « اســكنر » وهو يروى اروع القصص عن براعته فى تربية الدجاج

وسأل القسيس مسز « اسكنر » عند حضورها ، وهو يحدق بمنظاره دهشا فى صحيفة :

ـ ما هذا الذى أرى ؟ .. أزنابير ضخمة ؟ .. لعمرى ماذا بعد ذلك .. انها ولاشك اســـــاليب الامريكيين فى كتاباتهم .. الم يكن اولى ان يقال عنب ضخم او تفـــاح هائل ؟! ..

ثم أردف يقول ، وهو يتناول رشفة من القهوة :

ـ هذا هراء لا يصدقه عقل .. انه كذب وافتراء ! ..

بيد ان اليوم التالى حمل من الانباء اكثر مما جاء به سابقه ، وبدأ الامر يتضح وان لم يتضح دفعة واحدة .. اذ راح يسخر من القصة البعيدة كل البعد عن التصديق .. أزنابير تقتل كلبا ؟! وفجأة قفز الى ذهنه ما لاحظه من نمو النبات بجوار الكرات نموا غير طبيعى ، ولكنــــه لم يربط بين ماجاء بالصحيفة وبين نمو النبات ، وقال فى نفسه :

ـ لو أن ماذكرته الصحيفة حقيقى لكنا قد سمعنا به .. فان المسافة بيننا وبين هوتستيبل ، لا تزيد على عشرين ميلا ..

ووقعت عينه بعد ذلك على كرة ضخمة اخرى كأنهــا بيضة هائلة لطائر الرخ ، بين النبات الكثيف النــــامى ، فأدرك الحقيقة لتوه ..

وفى ذلك الصباح تخلف الرجــل عن أداء واجبـــاته الدينية ، وعرج على كوخ « كادلز » سالكا طريقا آخر ، حتى اذا بلغه قال لمن فيه :

ـ أريد ان ارى الطفل ..

ثم اردف قائلا :

ـ هل هو وباء ؟ ..

وافتر ثغر الطبيب عن ابتسامة هادئة رقيقة ، وفرك يديه ثم قال :

ـ ليس باستطاعتى ان أقطع برأى فى هذا الامر .. !

وارتسم الخوف ولاح فى عينى القس اللتين اتسعتا ، وقال :

ـ ستنتقل عدواه الينا .. اذا كان معديا ! ..

ثم اردف يقول بعد ان خطا خطوة فى الطريق :

ـ لقد أتيت من هناك توا .. اليس الافضل لى ان .. سأسرع الى دارى لاغتسل واطهر ثيابى بالبخار .. !

وأخذ الطبيب يرقبه برهة وهو يبتعد ، ثم يستدير متجها نحو داره ..

بيد انه تذكر فىأثناء عودته ان اصابة حدثت منذ شهر بالقرية ، ولكنها لم تتسبب فى عدوى احد . وبعد شىء من التردد عقد العزم علىالتجمل بالشجاعةومجابهةالامور مجابهة الرجال ..

وكان حقا مصيبا فى رأيه ، فلو أنه أطعم ذلك الغذاء بكميات هائلة ، لما ادركه نمو او تضخم ، فقد ولت فترة النمو لديه الى غير رجعة ..

طفل لا ينام

كان من رأى القس أن الطفل الكبير قبيح الشكل ، وأصر على أنه دميم منذ ولادته . وحال تضارب الآراء بين القس وبين وصف الطفل وصفا صحيحا .. ومن عجب أنه كانت تؤخذ للطفل صور شمسية كثيرة فىأماكن مختلفة ، فكانت على خلاف ما يراه القس ، فقد ظهر الطفل فى الصور التى أخذت له فى الايام الاولى منحياته جميل الطلعة ، بساما ، يكاد يحجب شعرهالغزير جبينه. وكان « كادلز » يتعمد أن يظهر الى جانب ابنه فى الصور ليظهر الفارق بين ضآلة جسمه وضخامة ابنه

وتغيرت تقاطيع الطفل وملامحهحين أتم العام الاول من عمره ، فصارت دقيقة ، وخلت من سمات البهاء والجمال .. وأخذ ينمو ويتضخم كما قال جده التعس ، ثم تهدل جسمه وتبدل لونه ، وأضحى فى نظر الناس ضئيلا رغم

ضخامته . ولفت أنظارهم بعينيه وملامح وجهه الدقيقة، وازداد شعر الطفل غزارة وتلبدا بعد أن قص لأول مرة. وقرر الطبيب أن الطفل يسير فى مرحلة اضمحلال .. ترى هل كان ذلك لأنه ـ أى الطفل ـ كان يعيش فى عزلة عن لداته ؟ ! ..

وبدت عينا الطفل مستديرتين ، واسترسل شعره ، وصار أنفه أفطس ، فيما بين الثالثة والسادسة من عمره، كما تنطق بذلك صوره فى تلك الفترة من حياته . وكانت شفتاه تفتران عن بسمة متميزة ، تظهره فى صورة فذة بين أقرانه من جبابرة الاطفال الذين سبقوه . وكان يرتدى فى فصل الصيف ثيابا فضفاضة يحبكها بشريط رفيع ، ويضع على رأسه سلة كبيرة من سلال العمال ، ولا ينتعل بحذاء قط بل يسير عارى القدمين . وأخذت له صورة ظهر فيها وهو مغرق فى الضحك ، ويحمل بطيخة كبيرة بيده ..

ومما رواه القس أن الطفل كان مصدر ازعاج للقرية منذ بداية عمره ، فقد كان فضوليا كثير التطلع ، يحب أن يكون على سجيته وهواه ، يأتنس به الناس .. نهما يلح فى طلب المزيد من الطعام ، وهذا ما كان يعاب عليه

وقال الطبيب ان شهيته كانت فظيعة الى حد لا يتصوره عقل ، وان لم يؤثر ذلك فى كرم السيدة « وندرشوت » على الطفل واغداقها الطعام عليه . وقد حاول ذات مرة سرقة الطعام رغم كفاية ما كان يناله منه ، وكان يلتهم كل ما يصل الى يده أو يتمكن من سرقته ، حتى أنه كان يمد يده الهائلة فوق سور الحديقة ويخطف الخبز من العربات، ويسرق الجبن من مصنع للجبن رغم ارتفاعه . ولاحظ الفلاحون من آثار قدميه الضخمتين أنه كان يجوس فى

حقولهم ، يقتلع النبات ويأخذ الثمار ثم يسوى فى مكر مواضعها . واذا رأى ان أحدا لا يراه كان يلتقط التفاح من الاغصان المرتفعة ويلتهمه !

وهكذا تعددت ألوان الازعاج فى تصرفاته ، فكان القس يقول عنه :

— انه طفل لا ينام ولا يخلد الى الراحة اطلاقا ! ..

وتعذر الذهاب به الى المدرسة ، كما لم يستطع دخول الكنيسة لأن بابها لا يتسع لضخامته . وفكروا فى تعليمه، وتحايلوا على ذلك بأن جعلوه يجلس خارج حجرة الدرس بجوار نافذتها المفتوحة ، ولكن هذه الطريقة أفسدت النظام .. فقد تلهى التلاميذ عن الدرس بالنظر اليه ، والضحك من منظره وكلامه ، اذكان صوته أجش غريبا ..

واتفق القس مع أم الطفل على تلقينه مبادىء الاخلاق وبعض الدروس العلمية الاولية ، وأفهماه انه لم ينل هذه القوة الجبارة لكى يبطش بالناس .. وأنها نقمة حلت به ، عليه أن يتقبلها فى صبر وجلد . وقد أزجيا اليه الكثير من النصائح بأن يعى ما يلقى على مسامعه ، وأن يكون مطيعا فيما يطلب منه ، وأن يتجنب تهشيم أو اتلاف أى شىء ، ولفت نظره الا يصطدم بشىء أو يطأ بقدمه شيئا ، أو يقفز قفزة قد تسبب تلفا جسيما .. كما لقن من أسس مبادىء الاخلاق أن يحترم الغير ، وأن يحبهم ، ولا يقصر فى تقديم الشكر لهم على ما يمنحونه له من ثياب وما يغدقون عليه من طعام . وتقبل الطفل هذه الدروس والنصائح ، وعمل بها لأنه كان — جريا على سنة الطبيعة — فى سن قبول التعليم ، وان جعلت منه الصدفة والغذاء السحرى ماردا ضخما ! ..

وكان القس اذا خرج فى صبيحة الايام المشمسة لايطيق

رؤية ذلك الآدمي العجيب اذا قابله في الطريق ، فقدكان يذهله طول قامته الذي بلغ ثماني عشرة قدما وكأنه جن خرافي خارج على الطبيعة .. بينما يسير الطفل في الطريق على مهل ينظر عن يمين وعن يسار بحثا عما يأكله وعما يلعب به ، وهما بغيتا كل طفل .. وعندما تقع عين الطفل على القسيس يحييه برفع يده الى رأسه في احترام وتبجيل ..

وكان القس ضيق الافق ، فكان يتخيل مدى مايحدثه هذا الطفل الضخم المفتول العضلات من أذي اذا أصابه مس مفاجيء من جنون ، أو لاح للطفل أن يطرح جانبا مظاهر الاحترام للغير . بيد أن القس حين كانت تساوره أمثال هذه الخواطر ، كان يطردها من ذهنه في شجاعة ليثبت مقدرته على التغلب على المخاوف .. ولهذا كان يخاطب الطفل في خشونة وبصوت مرتفع ونبرات رنانة قوية شأن جهابذة الخطباء المتحدثين !

ودرج الصبي على طاعة أولي الامرومعلميه والقساوسة وأن يكون رائده احترام الغير والخضوع لآرائهم والعمل بنصائحهم

ولفت نظر الصبي أن الجياد كانت تجفل منه كما تجفل من الجمال ، لأنها لم تتعود رؤية مخلوق ضخم مثله ، فمنع من السير في الطريق العام ، كما نبه عليه بعدم الاقتراب من قصر السيدة « وندرشوت » لأنها أبصرته ذات يوم يطل برأسه من فوق سورحديقة القصرويبتسم؛ فحنقت أشد الحنق .. بيد أن الصبي لم يذعن لما أمر به من عدم السير في الطريق العام ، فقد كان يطيب له السير فيه ، فراح يسير خلسة في غفلة من عيون الرقباء ، واخيرا

اقتصر على سفوح التلال وساحات الكلأ يسير فيها كيف يشاء ..

ولما رأت السيدة « وندرشوت » فزأهته وشيطنته قالت :

ـ يجب الا يترك على هواه .. بل يجب أن يجبر على أداء أعمال متواصله ..

فقال القس :

ـ أصبت يا سيدتى فان هذا أمثل وسائل التربيةالتى تؤتى ثمرا طيبا ..

فقالت السيدة « وندرشوت » :

ـ وهذا ما أعنيه وما أشير به دائما .. فالبطالةمفسدة .. والشيطان حليف العاطل .. وهذا شائع بين طبقة العمال .. اننا نبث هذه الروح فى خدمنا .. ولكن ترى اى عمل يمكن ان نسنده الى هذا الصبى ؟! ..

واصطدم التفكير ببعض الصعوبات ، وتشعب .. وأخيرا رؤى أن يوكل الى الصبى نقل الرسائل على ظهر جواد بدلا من الرجل الذى كان يقوم بهذا العمل ، وكلف علاوة على ذلك بنقل بعض الامتعة والحقائب فى كيس كبير أعد لهذا الغرض ..

وبدا أن الصبى مقبل على العمل ، والواقع أنه كان يرى فيه ضربا من التسلية .. ثم كلفته وكيلة أعمال السيدة « وندرشوت » حين رأته يرفع بيديه القويتين صـــخرة هائلة فى الحديقة ، أن يقطع الطباشير من محجر قريب من هكليبراو .. وعندئذ ظن الجميع إنهم وفقوا فى اسناد انسب الاعمال للصبى ..

وراح الصبى يعمل فى المحجر فى خماسـنـة الاطفـال

واندفاعهم فى مبدأ الامر ، ثم صار يعمل بصـورة رتيبة بحكم العادة ، فكان يقطع الطباشير وينقله على عربات ثم يعود بها فارغة وهكذا ، وأخيرا رأى نفسـه يعمل بالمحجر بمفرده

وكان أثناء العمل يرتدى قميصا من الخيش ، وسروالا قديما من الجلد ، وحذاءين بهما حديد .. وكان أحيانا حاسر الرأس وأحيانا أخرى يغطى رأسه بسلة كبيرة ، وكان يشاهد وهو يغدو ويروح فى عزيمة وثابة . وكان القس يراه ـ أثناء عودته ـ وقد جلس يلتهم طعامه الذى يؤتى له به يوميا ، دون أن يفكر فى الدنيا ومافيها . وكان طعامه يتكون من مقدار كبير من الحب غير المقشور ينقل اليه فى عربة ، ويلتهمه بعـــد حرقه فى قمين من قمائن الجير ، وفى بعض الاحيان كان يخلطه بالسكر . وكثيرا ما رؤى يلعق قطعة ملح كبيرة ، وأيضا وهو يزدرد كمية هائلة من البلح بنواه .. واذا عطش قصد الى المجـــرى الصغير القريب وأخذ يعب من مائه

وطريقة الشرب هذه هى التى كانت عاملا أساسيا فى انتشار الغذاء السحرى فى هذه البقعة ، حيث انتقل فى مبدأ الامر من الماء الى الغاب المترامى على شاطىء النهر، ثم الى الضفادع والاسماك على اختلاف أنواعها ، ثم الى النبات النامى فى الـــوادى . ولم ينقض عام حتى نمت ديدان الحقل المجاور لحانوت الحداد ، فتضخمت هى والخنافس التى أجبرت السيدة « وندرشـوت » على الفرار من قصرها

***

بعد فترة من الوقت تغير تأثير الغذاء فى الطفل ، فقـد

حاد عن التعاليم التى لقنها له القس ، والتى كان يرمى من ورائها الى أن يجعل منه مزارعا مثاليا بشكل يتناسب مع ضخامته .. وازداد الفضول لدى الطفل ، فصار يكثر من الاسئلة وينقب فيما حوله بحثا عن أشياء ، ويفكر .. وحين تخطى مرحلة الصبا ، وأصبح على عتبة المراهقة ، أخذ يصارح الناس بأن تفكيره يختلف عن تفكيرهم .. وأن القس لم يكن مصيبا فى توجيهه اياه ذلك التوجيه . وشعر القس بهذه الظاهرة المؤسفة فقلق لها

وشمل تفكير الطفل كل ما يحيط به من شتى شئون الحياة ، وكان يرى بطبيعة الحال وبنظرته الثاقبة الملمة ، الكثير من نواحى الحياة البشرية على الرغم من كثرة مالم تهيأ له فرصة مشاهدته . وأدرك على مر الايام ، شيئا فشيئا ، انه بشر كغيره من الناس ، لا يختلف عنهم الا بضخامته ودماثته . ونما ادراكه فاستبان ألوان الحياة التى حيل بينه وبينها بسبب ضخامة جسمه ، اذ كان متعذرا عليه الالتحاق بمدرسة والاختلاط بأقرانه من التلاميذ ، ولم يكن باستطاعته الذهاب الى الكنيسة لأداء الشعائر الدينية التى كان الناس يؤدونها وهم فى ابهى حللهم على انغام الموسيقى ذات التأثير العميق ، وحرم من ارتياد الفندق الذى كانت تقام فيه حفلات غنائية حافلة بألوان المرح ، وحرم من مشاهدة مباريات الكرة كغيره من تلك الحشود التى كانت تشاهدها وتتحمس لها ولنتائجها !

كانت كل هذه الخواطر والمناظر تجتذبه وتستهويه ، ولم يشذ الفتى عن ناموس الطبيعة اذ شعر وهو يسرع حثيثا الى مرحلة المراهقة بأحاسيس غريبة .. فبدأ يفكر

باهتمام فى العشق والعاشقين ، وفى شئونهم وشجونهم ولواعجهم ، مما فرضه ناموس الحياة والطبيعة على الانسان

وحدث ، وكان اليوم أحد ـ يوم العطلة الاسبوعية ـ والمساء هادىء والسماء صافية وقد بدأت تتلألأ فيها النجوم ، أن وقف عاشقان فى شارع الغرام ، وهو شارع ضيق يعلوه سور ضخم لا يقل ارتفاعه عن اثنى عشر قدما وراحا يتبادلان القبلات بمنجاة من أعين الرقباء .. فقد كانا يعلمان ان ما من احد يستطيع رؤيتهما أو تعكير صفوهما الا اذا كان مقبلا فى الشارع ، وفى مقدورهما فى هذه الحالة ان يرياه .. ولذا أيقنا أن السور خير حافظ لهما من الاعين المتطفلة

وعلى حين غرة ، شعرا بأنهما يرتفعان عن ارض الشارع ، وإن كلا منهما يبتعد عن الآخر .. واصطبغ وجهاهما بحمرة الخجل ، وعقد الذهول والدهشة لسانيهما فى موقفهما الحرج ، فلم ينطق أحدهما بكلمة ، وقد رأيا ان الذى رفعهما هو « كادلز » الضخم الذى راح يرمقهما بعينين مضطربتين ، ثم قال لهما :

ـ لماذا يحلو لكما ان تفعلا ذلك ؟

وظل العاشقان برهة على اضطرابهما ، ثم تشجع الفتى وأخذ يكيل السباب واللعنات لـ «كادلز» ويتوعده، ثم أهاب به ان يعيدهما الى مكانهما والا فالويل له كل الويل .. وراجع « كادلز » نفسه ، وأدرك ان الخلق الكريم افضل ما ينبغى ان يتحلى به ويتبعه ، فأذعن على الفور وأجاب الفتى الى طلبه ، وأعادهما الى مكانهما على ارض الشارع فى دماثة ولطف ، وجعلهما متقاربين

ليستأنفا عناقهما وقبلاتهما ومناجاتهما .. وظل يرقبهما لحظة ، ثم اختفى عن ناظريهما

ويذكر الفتى انه شعر بعد الذى حدث بخزى وخجل، وأن نظراته لم تلتق بنظرات فتاته بعد ان ضبطهما « كادلز » فى موقفهما الغرامى ذاك حيث كانا يتبادلان القبلات ، وقال :

ـ العجيب فى الامر ان صاحبتى راحت تنحى على باللائمة ، وثارت فى وجهى ، ولم توجه الى كلمة واحدة أثناء عودتها . .

ونشطت افكار « كادلز » فى هذه السن ، وراح يلقى الاسئلة على الناس وعلى امه ، أسئلة استغلق عليه فهم كنهها . .

وكان يقضى بعض وقته فى الفناء القائم خلف الدار ، يرقب الدجاج وصغاره ، وهو يقبل نحوه ليلتقط ما علق بثيابه من نثار الطباشير الندى والطحلب .. ثم تقبل قطة امه التى لا تخاف منه ، وتتمطى امامه ، وتسير هنا وهناك ، وتقفز على السور ، ثم تمشى على ساق «كادلز» وترتفع فوق جسمه الى ان تصل الى كتفيه ، وتهبط ثم تعتلى كتفه مرة اخرى .. وبعد ذلك تداعبه بغرس اظافرها فى وجهه ، ولكنه لا يفكر فى ان يؤذيها لانه يدرك مدى بطش يده الثقيلة بهذا الحيوان الصغير الضعيف، فضلا عن أنه كان يحب هذه المداعبات من جانب القطة ، وأحيانا كان يسأل أمه قائلا :

ـ اذا كان العمل أمرا ينفع الانسان .. فلماذا يتخلف عنه كثير من الناس ؟ .. ولماذا لايعملون جميعهم ؟

فتجيبه أمه قائلة :

ـ ان العمل أجدى لامثالنا نحن يابني ..

وبعد تفكير قصير يعود فيسألها :

ـ لماذا ؟ ..

وحين لا يقتنع بما تجيبه به يعود فيسألها :

ـ ولكن يا أماه .. لماذا يعمل الانسان .. اقطع أنا الطباشير وتغسلين أنت الملابس .. بينما نرى السيدة «وندرشوت» تستمتع بركوب عربتها الفاخرة ، وبالسفر الى الخارج حيث الجمال .. وهو ما نحن منه محرومون ؟! ..

ـ انها تفعل ذلك لانها من عليه القوم ..

ويغرق الفتى في التفكير ، ولا يجد ما يقوله سوى :

ـ آ ... ه ! ..

فتقول له أمه :

ـ من أين يحصل الفقراء امثالنا على الطعام اذا لم يكن هناك أشراف وسادة نقوم بخدمتهم ؟

وكان حريا بالفتى ان يغرق في تفكير اعمق لهذا الذى سمع ، فعاد يسألها :

ـ واذا افترضنا يا أماه عدم وجود سادة وأثرياء .. هل نملك نحن وأمثالنا تلك الثروات .. واذا صارت ملك يميننا ..

وراح الفتى يحدق في أمه وهو يقول :

ـ ما علينا .. لا أريد ان أثقل عليك او اضايقك ..

ثم يستأنف التفكير ..

***

ومرت سنوات ، وقضت السيدة «وندرشوت» نحبها

فقيرة معدمة ، بسبب الغاب الكبير الذى نما فى حديقتها لانهـا لم تكن تعنى بأصـول فن الفـلاحة ، فكل ما كان يهمها هو أن تنمو النباتات وفق هواها .. بيد ان الحال التى نمت عليها كافة الاشياء فى أخـريات أيامها كانت غريبة ومفاجئة ، فبلبلت افكار السيدة . ثم انها شعرت بالكراهية للفتى الضخم « كادلز » وأخذت تضيق بكثرة تردده على القصر ، حتى لقد جال بخاطرها انه يتطلـع اليها دائما من فوق السور لشر يضـمره . وكان ابغض شيء الى نفسها ان تراه اكثر علوا من قصرهـا ، فكانت ترى فى ذلك خروجـا على ما ينبغى ان يكون .. الا ما أتعس تلك السيدة وما اشـقاها بأفكارها .. كان المأمول أن تعمر طويلا ، ولكن الخنافس الضخمة دأبت على مضايقتها سنة بأكملها ، فقلبت حياتها رأسـا على عقب .. حين برزت لها من خلال العشب فى حجم الجرذان الضخمة الجبارة ..

وحلت الطامة الكبرى حين ظهر لها ذلك النمل الضخم الذى راح يأتى على كل ما يقابله .. فلما وجدت السيدة ان الطمأنينة ولت وحل القلق والفزع محلها ، وأن السلام والهدوء اللذين كانت تنعم بهما وفى ظلهما فى قصرها قد أدبرا ، عقدت العزم على الرحيل الى مونت كارلو ، ونفذت عزمها ورحلت

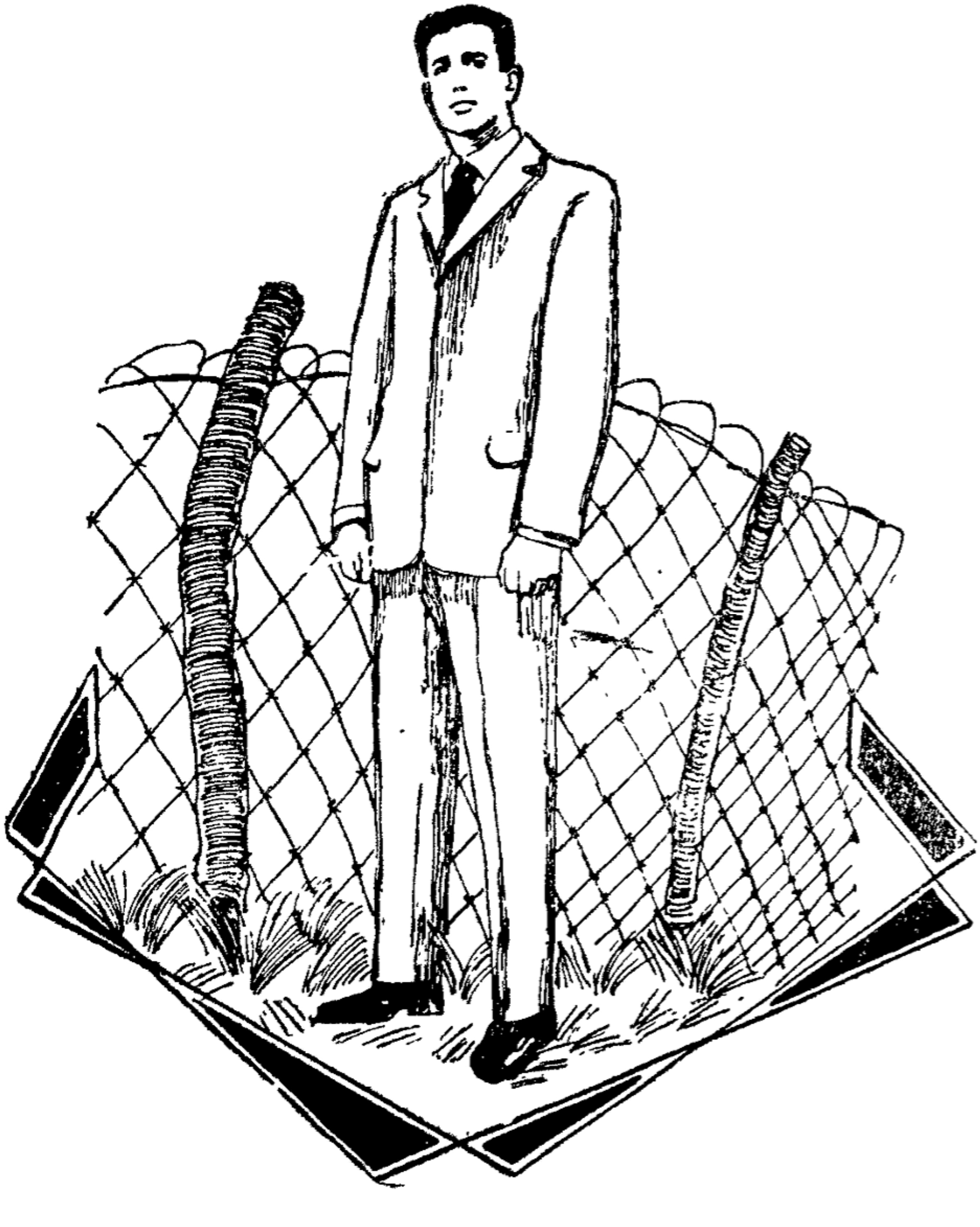
وتتناقل الاحاديث انها قضت ردحا من الزمن فى رغد وهناء فى مقرها الجديد ، ثم وافتها منيتها فى احد الفنادق بخاتمة يرثى لها .. وهى بعيدة عن وطنهـا .. وعلى صورة لا تتفق مع مكانتها ، تلك التى نبتت من سـلالة عظيمة الشأن .. فتموت كما يموت المشردون فى بقـاع الدنيا .. !

ثم مات القس ودفن فى مقبرة تشسيزنج آيبريت الى جوار شجرة السرو الضخمة ، وأقيم على قبره شاهد . بيد انه سرعان ما اختفى القبر والشــاهد عن العيون ، فقد نمت حوله الحشائش الضخمة التى استعصى عــلى المناجل قطعها واستئصالها ، والتى لم تصلحلتكون طعاما للاغنام ، فأخذت تزحف من الوادى على القرية

وهكذا كان الغذاء السحرى ينتشر ويسرى فى كل مكان .

الفصل السادس :

السجين الطليق !



السجين الطليق

ومع عجلة الزمن كان العالم يتطور ، واستمر تطوره تدريجا مدة عشرين عاما ، فلم يلحظ النـاس أو يذهلهم ذلك التبدل المدهش لانه لم يكن فجائيا بل تدريجا كمـا ذكرنا .. بيد انه تبين لشخص واحد فى مدى هذهالسنين العشرين أثر الغذاء السحرى ، استبان له فجأة فأذهله وكاد يذهب بلبه !

كان هذا الشخص قد وقع تحت طائلة القانون ، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة .. بيد أن القانون أجاز العفو عنه بعد أن قضى عشرين عاما فى السجن . وكان قد دخله وهو فى مقتبل العمر ، اذ كانت سنه وقتئذ ثلاثة وعشرين عاما . وخرج الى الحياة والحرية وعالم الكدح صباحيوم أشرقت شمسه ، فخلعوا عنه ثياب السـجن وألبسوه ثيابا كان قد نسيها ولم يتعودها ، وكان قد بدأ يهـذب شعره ويصففه بعد أن تركه ينمو . ثم وقفهذا الشخص على عتبة الحياة من جديد بجسم جديد وخلق جـديد وعقل جديد ، وراح يتلفت زائغ البصرخافق القلبوالروح كأنه لا يصدق أنه عاد الى الحرية . ولم يكن ليستطيع ادراك ما حدث فى العالم من تطور خارق . وذهب ليرى أخا له كان قد خلفه غلاما حين دخل السجن ، فوجده قد اكتملت رجولته ، كما وجد انه شق طريقه فى الحياةقدما، وبدت له عينا أخيه غريبتين تختلفان عما كانتا عليه من قبل . وأخذ الاخوان طريقهما الى «دوفر» ، لا يتحدثان

الا لماما ، ولكن خواطر كثيرة كانت تخالج نفسيهما

وقضى الاخوان ساعة ، او بعض ساعة ، فى احد المشارب يتذاكران الماضي ويتساءلان ويتجاذبان أطراف الحديث فى كل شأن وأمر .. ثم حان موعد العودة فركبا القطار عائدين الى لندن ..

بيد أن الذى يهم الآن انما هو ما وجده ذلك الشخص من جديد فى الدنيا بعد ان عاد اليها وما طرأ عليها من تطور وتبدل

ومرق القطار فى نفق ثم برز من الناحية الاخرى الى شبكة للسكك الحديدية معتمة ذات سقوف ، فأضيئت انوار القطار الذى اخترق بعد ذلك اجمة تشابك فيها النبات الذى زحف اليها من احدى الحدائق المجاورة ثم نما نموا هائلا . ورأى الاخوان فى هذه البقعة كثيرا من عربات النقل تنوء تحت ثقل ما تحمله من كتل خشبية ضخمة .. وفى ذلك المكان سمع السجين الذى اطلق سراحه لاول مرة انباء الغذاء السحرى

وراح الاخوان يعللان ويفسران مشاهداتهما ، واثقل السجين الطليق على اخيه بأسئلة متوالية غريبة .. ولم يكن الاخ يتوقع منه ذلك ، ولذا كانت اجاباته مشوبة بالغموض ، لا يفهم منها سامعها شيئا ، وسأله السجين الطليق سؤالا حيره ، فأجاب بعد تفكير عميق :

ـ انه الغذاء السحرى .. الم يبلغك نبأه ؟ .. الم يتحدث اليك احد عنه ؟ .. نعم يا أخى الغذاء السحرى .. وهو المحور الذى تدور حوله رحى الانتخابات الآن .. انه كشف علمى لعناصر غذائية ..

وتبادر الى ذهن الاخ ان عقل اخيه قد تبلد لطول

المدة التى قضاها بالسجن ، فاضحى عاجزا عن معرفة أو ادراك الغذاء السحرى ..

وتواترت بينهما الاسئلة والاجوبة .. وفى خلال ذلك كانا ينظران الى النوافذ ، وكان اهتمام السجين الطليق بما رأى اهتماما محدودا فى مبدأ الامر ، ذلك لان افكاره كانت تنحصر فيما سيقوله له هذا ، وكيف سيرى ذاك وبما سيحدثهم هو به ، ولم يفكر فى امر الغذاء السحرى الا تفكيرا عابرا .. وتشعب الحديث بينهما وتناول شتى النواحى ، الا أن موضوع الغذاء السحرى حظى بأوفر قسط من حديثهما

واجتذب نظر الاخوين ذلك المجرى المائى الكبير عند تنبردج ، حيث تكون مستنقع واسع الرقعة نما فيه نبات ضخم من نوع جديد ، ورأيا بعد ذلك الريف الهزيل ..

وأخيرا لاحت لهما لندن وقد خيم فوقها الضباب ،حيث تنوعت الوسائل التى اريد بها القضاء على آثار النمو الهائل والضخامة المروعة

وكان الغذاء السحرى قد أخذ ينتشر بصورة مفزعة فى احياء كثيرة من لندن ، وبخاصة فى البقعة التى يقوم فيها منزل « كوسار » واطفاله .. وكانت الحياة تسير رتيبة مألوفة ، ولكن الرجل الذى خرج الى الحياة والحرية رأى المرة الاولى الآثار العجيبة لذلك الغذاء السحرى ، وما اقتضته من استعدادات هائلة لمقاومة النمو الخارق للكائنات والنبات ، ورأى أماكن محترقة حالكة السواد ، ومراكز للمقاومة ألف الناس رؤيتها

رأى الاخوان عديدا من المآسى كالتى سبق ان حدثت فى المزرعة .. وقد لاحت بوادر القوة فى مبدأ الامر فى الاشياء العابرة الصغيرة ، عن كثب من الناس وبين

ظهرانيهم ، ثم فى الخرائب المقفرة فى صور شتى وظواهر مختلفة .. فمن أفنية تنبعث منهـا روائح كريهة الى اعشاب هائلة الضخامة كانت تستخدم وقـودا للآلات الثقيلة . ومن الاستعدادات ، أنشئت الطرق وعبدت لمرور العربات والسيارات ، واقيمت ابراج زودت بصفارات منذرة لتحذير الناس من الحشرات الضخمة الجبارة بمجرد ظهورها ، ووضعت أبواق فى ابراج الكنائس لنفس الغرض ، وأقيمت أكشاك كثيرة فى أماكن مختلفة وطليت باللون الاحمر ، ضمت فرقا وحاميات مسلحة .. وتدرب الناس على اصابة الاهداف لمقاومة الجرذان الضخمة ، لان تلك الجرذان ظهرت عدة مرات فى لندن بعد أن ظهرت فى المزرعة

وحدث ان اشترى شقيق السجين الطليق ـ وكان ذلك بطريق الصدفة ـ نسخة من احدى الصحف ، فأخذها أخوه من يده وكان قد قضى سنوات السجن الطويلة لم يقرأ فيها صحيفة ، فبدت له مختلفة عن سابق العهد بها ، كما وجدها تحفل بكثير من الصور الغريبة ، وبدت له كأنها كتبت بلغة لايعرفها .. وفى هذه اللحظة جذبه أخوه من يده وأشار الى النافذة ، وقال :

ـ هؤلاء هم أبناء « كوسار » ..

وحين وقعت عينا السجين الطليق على الاولاد صاح مذهولا :

ـ رباه !...

ثم سقطت الصحيفة من يده لذهوله ، وانسته الدهشة أمرها ، ومن خلال الاشجار رأى فى وضوح ساقين هائلتين متباعدتين ، ويدا ضخمة تقبض على كرة كبيرة ، وشخصا ماردا يبلغ ارتفاع قامته أربعين قدما أو يزيد وبريقه

يتألق فى ضوء الشمس بالحلة التى يرتديها ، المصنوعة من نسيج من الخيوط المعدنية البيضاء وقد تمنطق بحزام عريض من الصلب . ورأى السجين الطليق عن كثب من هذا المارد ماردا آخر يتحفز لتلقى الكرة من الاول

وكان «كوسار» قدأقام لابنائه بيتا كبيرا يتسع لضخامتهم، فى حفرة الطباشير ، ثم سورها بسور ضخم .. واقام خلف البيت مظلة هائلة معتمة ، كان المرء يلمح فيها أضواء وهاجة ،وتتناهى الى الاسماع منها أصوات المطارق الكبيرة

ولاحت من عينى السجين الطليق نظرة الى الكرة التى بيد المارد فرآها من خشب ثقيل ، تلتف حولها سيور من الحديد ، ثم أبصر المارد وهو يقذفها فى خفة فتطير فى الهواء كأنها ريشة خفيفة

وراح الاخوان يحملقان فى دهشة بالغة ووجل ،وتراءت لهما الكرة وكأنها فيل مكور هائل . وقال السجين الطليق لاخيه حين حجبت قاذف الكرة عن عينيه احدى الاشجار:

ـ لقد أمسك بها !

مرق القطار أمام هذه الرؤى كلها فى لحظات خاطفة ، ثم خلفها وراءه مارا بالاشجار الى نفق «تشيرلهرست »

وعاد السجين الطليق يقول لاخيه وقد لفهما ظلام مطبق :

ـ يا الهى ... ان هذا المارد اكثر ارتفاعا من اى بيت ! ..

فأجابه اخوه وهو يحرك راسه حركة ذات مغزى :

ـ هؤلاء هم ابناء « كوسار » .. انهم مصدر لكثير من القلق والمتاعب

شب الغلمان عن الطوق ، وكبروا حتى أضحوا رجالا أو على أبواب الرجولة ، واشتدت عليهم وطأة الحال التى أصبحوا عليها ، والتى كانت تزداد شهرا بعد شهر وعاما بعد عام ، اذ راحت اجسامهم تتضخم وعقولهم تنمو

وازداد أنتشار الغذاء السحرى على نطاق واسع وراحت الاحداث المروعة تترى فى اثر بعضها فعمت المتاعب وتعددت المشاكل ، وقد كان الغذاء فى البداية محصورا فى نطاق ضيق محدود ، فكان الناس يدهشون اذا سمعوا به او رأوا أثرا من آثاره ، ولكنه اصبح الان فى متناول كل فرد ، وأخذ يتهدد الكيان الاجتماعى بانقلاب شامل .. بل لقد حدث ذلك فعلا ، اذ تمخض عن احداث بالغة الخطورة ، فبسببه تأثر الانتاج وتغير ... وبسببه ابعد أفواج من الناس عن اعمالهم ، ولم يقتصر الغذاء السحرى على الوطن الذى اكتشف فيه ، بل تعداه الى الدول الاخرى فأحدث انقلابا فى التجارة العالمية .. فلا غرو اذن اذا اعتبره الناس شيئا بغيضا

وذات يوم جلس ابناء « كوسار » يفكرون فيما يتلهون به من اعمال تافهة ، ويتجاذبون أطراف الحديث فى شتى الموضوعات والامور .. وقد تخطوا مرحلة الشباب وارتقوا درج الرجولة .. وأدبر النهار وكانوا قد قضوه فى حفر احد الخنادق التى كلفهم « كوسار » بحفرها ، ومالت الشمس الى الغروب ، فراحوا يلتمسون بعض الراحة فى حديقة بيتهم الكبير يتأملون السكون ، وهم ينتظرون الطعام الذى يعده لهم الخدم الصغار العاديون

وانه لمنظر فريد أن ترى أبناء « كوسار » وقد بلغ طول

كل منهم أربعين قدما ، حين تمددوا على أرض يغطيها كلأ أعواده فى طول أعواد الغاب الكبيرة ، ثم نهض أحدهم من رقدته وراح ينظف حذاءه من الطين الذى علق به بقطعة ضخمة من الحديد ، بينما استند الثانى على مرفقه ، وأخذ الثالث يعبث بجذع شجرة من أشجار الصنوبر فتشيع رائحة الخشب فى الهواء .. وكانوا يرتدون قمصانا مصنوعة من الحبال ، وأردية منسوجة من أسلاك من معدن الالومنيوم ، أما أحذيتهم فكانت من الخشب المقوى بالحديد ، ويحبكون ثيابهم بأزرار من الصلب المجدول ، ومنه أيضا كانت مناطقهم

ومن الطبيعى أن يكون البيت الذى بنى خصيصا لهم ضخما متين البناء ، وبديهى أنه كان مكونا من طابق واحد ، جزء منه محفور فى صخور الطباشير والجزء الآخر شيد من كتل ضخمة من الحجر الصلد .. وكان ارتفاع واجهته يزيد على مائة قدم ، وعن كثب منه المكان الذى يعملون فيه وقد زخر بالمداخن والعجلات ورافعات الاثقال والمظلات العالية . وبالبيت نافذة يمكن منها رؤية ماسورة يتساقط منها حديد مصهور فى اناء كبير . وحول المكان كله قامت أسوار شامخة من التراب والحديد ، تمتد على مرمى النظر من أقاصى التلال الى بطن الوادى ، وهو فى جملته مستعمرة هائلة كأنها مدينة شاسعة مما يتسع لسكنى آلاف من الناس العاديين

وقال احدهم :

ـ ترى ماذا دهى صاحبنا « ردوود » ؟

فقال الاخ الاكبر :

ـ ماذا عساه أن يكون دهاه ؟ !

فتشاغل الاول بانتزاع غصن من شـــجرة الصنوبر وقال :

ـ كان يبدو كالحالم .. وخيل الى أنه سرح بأفكاره فلم يع ما كنت أقول .. وسمعته يتحدث عن الحب !

وعندئذ ضرب الاخ الاصفر نعل حذائه الحـــديدى بمنطقته وقال :

ـ أؤكد أن صديقنا « ردوود » حالم فى دنيا أخرى ..

وساد الصمت بين الجميع ، ثم قطعـه الاخ الاكبـر قائـلا :

ـ لعمرى لقد ضقت ذرعا بحالنا ، وبما نحن فيه من تلك القيود التى يفرضونها علينا والتى تزداد حدة يوما بعد يوم .. وانه ليخيل الى أنهم لن يجعلونا نخطو خطوة الا وفق مشيئتهم !

ثم أزاح بعض أغصان الصنوبر ، واعتدل وقال :

ـ على أن هذه القيود لا تذكر الى جانب ما سـيكون اذا ولى « كتير هام » زمام الامور ..

فقال الاخ الاصفر بلهفة ، وهو يضرب الارض بمنطقته :

ـ ماذا تقول ؟ ! ..

فأحنى الاخ الاكبر رأســـه الى الارض ، وتطلع الى قدميه ، وقال :

ـ ولا أشك فى أنه سيلقى القبض علينا ..

وكان الاخ الاوسط قد فرغ من تقطيع الاغصان ، فأخذ يجول بنظره حول الاسوار العالية ثم قال :

ـ اذن فقد ولى عهد الشباب كما قال الاب «ردوود» منذ عهد بعيد .. واننا بسبيل عهد الرجولة ..

فقال الاخ الاكبر :

ــ تماما ٠٠ ولكن هل تعلمان حقا ما يعنيه ذلك ٠٠ متى حان يوم الشقاء ؟ ٠٠

ثم سرح بنظره الى الاسوار العاليــــة ، ولكن نظره لم يكن مصوبا اليها بالذات ، بل كان ينفذ خلالها الى ماوراء التلال ــ من فوقها ــ الى جموع الناس . وكانت الافكار التى تجول بذهنه تجول بذهنى أخويه ، فارتســـم أمام أنظارهم أولئك الناس الصفار العاديون وهم يســـعون لقتالهم فى اندفاع وفى غير هوادة كالبحر الغاضب ..

وقال الاخ الاصفر :

ــ انهم صغار عاديون .. ولكن عددهم لا يحصى . وفضلا عن ذلك فان أذرعهم مفتولة ، ويحملون أسلحة ولا يغيبن عن بالكما أننا لم نتمرس على القتـــــال ، اذا استثنينا ما فتكنا به من الحشرات وما قتلناه مصادفة من الكائنات الاخرى الخبيثة ..

فقال الاخ الاكبر :

ــ كل هذا معلوم .. ولكنكما تعرفان حق المعرفة من نحن .. وأننا اذا تعقـــدت الامور فاننا واثقـــون من مقدرتنا .. مدركون ما يتحتم علينا عمله لصد العدوان ..

قال ذلك ثم طوى سكينه بعنف ، السكين الذى يزيد طول نصله عن قامة الرجل ، ثم نهض متكئا على جــذع شجرة اتخذ منه عصا ، وتطلع الى بيتهم الـــكبير .. وانعكست أشعة الشمس الحمراء على ردائه المعدنى وعلى الازرار التى حول عنقه ، ثم على ذراعيه المكتسيين بنسيج معدنى لامع ، فاصطبغ كل ذلك باللون الاحمر القانى .. وخيل الى أخيه ان الدم يقطر من جسمه فجأة

ولمح هذا المارد الجبار شبحا صغيرا قاتم اللون على ضوء أشعة الشمس الغاربة فى ناحية من السور المشرف على التل ، وكان الشبح يتحرك حركات مريبة ، مما أهاب بالمارد أن يدرك أن السرعة أوجب وأجدى من أى شىء ، ولوح بعصاه الضخمة الى الشبح الاســـود ردا على حركاته . ثم صرخ صرخة مدوية رددت جنبات الوادى اصداءها ، وقال لاخويه بسرعة :

ــ هناك أمر ما ..

ثم اتجه نحو ابيه فى خطى واسعة يبلغ طول الواحــدة منها عشرين قدما ، ليساعده ..

شبح فى التل

فى الوقت الذى كان فيه أبناء « كوســـــار » المردة يتحدثون الى بعضهم البعض ، وقد لمح احدهم شبحا عند سفح التل ٠٠ كان هذا الشبح شــابا صغيرا عاديا يجتاز التل ويتحدث الى صديق معه ، وينهى اليه بمــا يستشعره من مقت وكراهية نحو ابنــاء « كوسار » .. وقد سمعا تلك الصرخة المدوية التى اطلقها أحد الاخــوة المردة ، وكانا يأتيان عملا انسانيا نبيلا اذ أنقــذوا ثلاثة أفراخ من العصافير ــ كانت فى عشها ــ من نملتين كبيرتين دهمتا الافراخ لتفتكا بها . ولمح الشــاب البقعــة التى اتخذ منها أبناء « كوسار » مقــاما ومـــكانا لاعمالهم ، فقــال :

ــ أيتشدقون بالتخلف ؟ .. منذا يستنكف أن يــكون متخلفا فى الظروف الحاضرة فى أيامنا هذه ؟ .. انظر الى هذا المكان وقد كان من قبل هادئا مزدهرا ، فاذا به وقد شوه وقلب رأسا على عقب .. وانظر الى هذه المظلات

العالية ، والى تلك الآلة البشعة وعجلتها الضخمة ، والى الاسوار الكبيرة .. ثم انظر الى هؤلاء الجبابرة الذين جلسوا يفكرون ولا شك فى ضروب الشر .. انظر كيف تحولت البساتين الخضراء الى أرض قاحلة جرداء ..

فحدق فيه صديقه ثم قال :

ـ لعلك استمعت الى ما قاله « كترهام » ..

ـ بل رأيت بعينى .. كنت أفكر فى السلام والنظام والطمأنينة التى كانت تسود العالم ، فاذا بها الان أثر بعد عين ... لقد سلط علينا الشيطان سلاحامن أسلحته الخبيثة فى صورة الغذاء السحرى ، وهو بهذا يسعى الى دمار العالم .. نظرة الى أحقاب الزمن ، قبل أن نولد وبعد أن ولدتنا أمهاتنا .. ثم الان وقد شببنا ، كيف كان الوادى يتيه عجبا بأعواد القمح وهى تتمايل فيه بسنابلها الذهبية .. وهنا وهناك تنتشر الازاهير الزاهية الالوان .. وبيوت المزارعين جاثمة فى وداعة ينعم أهلها بهناء العيش .. ويصل اليها رنين أجراس الكنائس من أبراجها ، فيذكر أصحابها بعظمة الخالق وبديع صنعه .. فاذا بها تتحول الى مرتع للاعشاب الضخمة والحشرات المخيفة تنمو وتتكاثر وتشكل خطرا يتهددنا فى كل وقت .. ما قولك فى ذلك ؟

ثم أشار ببنانه فتطلع صديقه الى حيث أشار،واردف يقول :

ـ انظر الى آثار أقدامهم .. لقد غاضت قدم احدهم فى الارض فأحدثت حفرة عميقة يتعثر فيها جواد وراكبه كأنها شرك للايقاع بالآمن اذا لم يتنبه اليها .. لقد تغيرت معالم المكان ، فقد اقتلعت الاشجار واتلفت الطرق وحل الدمار .. انظر الى الحضارة كيف تتقوض وتنهار ،والى

الجمال كيف يمسخ ويشوه ، وألى النظام وقد انقلب الى فوضى .. كل ذلك بسبب هؤلاء الجبابرة ، فهم يأتون على كل شيء .. ومع ذلك تتشدق بأسلوبك التهكمى ، وتأخذ علينا ما تسميه بالتخلف ؟ ! ..

ـ خبرنى يا صديقى .. ماذا فى مقدوركم أن تفعلوه ؟
فقال الشاب المثقف :

ـ سنقضى على جذور الشر قبل أن تستشرى ويستفحل أمرها .. !

ـ ولـكن .. !

فقاطعه الشاب المثقف بصوت عال :

ـ ليس هذا بالامر المستحيل .. اننا بحاجة الى ثلاثة أشياء ، يد قوية باطشة ، وعقل مفكر كبير ، وعزيمـة ماضية لا تعرف الكلل .. لقد عمدنا حتى الآن الى التراخى ، نعالج الامور بحلول مبتورة .. وكان الفذاء السـحرى أثناء ذلك يزداد انتشارا ، بيد أننا حتى فى هذا الوقت ..

وتوقف عن الكلام برهة ، ثم قال :

ـ ان غالبية الشعب تؤازرنا ، وقد تضاعف عـدد مؤيدينا عن ذى قبل .. والقانون لا يقف فى وجهنا ، وكذلك الدستور والرأى العـام وتعـاليم الدين وتقاليـد الانسانية .. كلها تتفق وصراعنا ضد هذا الفـذاء .. فلماذا نتهاون ونتباطأ ؟ ولمـاذا نخدع انفسنا ؟ .. اننا نمقته ، فلماذا نترك له الحبل على الغارب .. هل تنتظر منا أن نرضخ ونستضعف ونقف مكتوفى الايدى ، ونكتفى بالشكوى التى لا تجدى فتيلا ؟ ! ..

وسكت مرة أخرى ، وتطلع الى بعيد ، ثم اسـتطرد يقـول :

- انظر الى تلك الاجمة البعيدة حيث يوجد القراص .. لقد هجر سكانها بيوتهم القائمة فيها بعد أن كانوا ينعمون برغد العيش وهناءته فى دعة واطمئنان ..

ثم تحول وأشار الى حيث أبناء « كوســـار » وهم يتشاكون ما ينوءون تحت وطأته من ظلم ، وقال :

- وهناك .. انظر الى هؤلاء .. اننى أعـرف أباهم ذلك الآدمى وما هو بآدمى - صاحب الصوت المجلجل - لقد ركبه الشيطان مدى ثلاثين عاما فظل ينشر فى العالم شروره .. انه لا يستحق رحمة ولا شفقة ، وهو مهندس ولكنه يضرب بكل المعايير الانسانية عرض الحائط ، ولا يقيم وزنا لكل ما هو مقدس وعزيز ، ويستهين بتقاليدنا العريقة التى هى أساس عظمتنـــا .. انه لايستنكف عن اقتراف أى عمل وضيع اذا أوحى اليه خياله المريض أن من ورائه نفعا له .. فهل مع كل هذا تريد أن نتهاون ونتراخى ، وأن نلجأ الى الطرق السلمية ونتبعها .. انها آمال مضيعة تلك التى تشير بها ، فمثلك مثل الهرة تريد أن تهادن وأن تتحالف مع أسد .. انهم يسعون الى الدمار ونحن نبتغى العمران .. فاما هذا واما ذاك ، وليس هناك حل وسط ..

- ولكن ما الذى بوسعك أن تفعل ؟

- الكثير يا صاحبى .. بل أكثر من الكثير .. علينـــا أن نقضى على هذا الغذاء اللعين قضاء مبرما لا هـوادة فيه .. ان عدد الجبابرة لا يزال ضئيلا ، وهم أيضـــا متفرقون ، ولم يبلغوا نهاية اكتمالهم ، وليست لهم جبهة قوية يخشى من بطشها .. فعلينا أن نضيق عليهم الخناق ، ونشل نشاطهم بالاغلال ، ونكتم انفاسهم ونطهر العـــالم منهم .. فهو لا يتسع لهم ولنا . علينا أن نعدم الغـذاء

ونعاقب من يصنعونه ونسجنهم .. ولنحل بين «كوسار» وبين صنعه .. ان الامر لا يعدو أن يكون قضاء على جيل ، نستريح منه بعد ذلك .. فاذا كتب لنا التوفيق أعدنا كل شيء الى سابق حاله ، وهدمنا بيوتهم الشامخة، ومهدنا الارض التى أفسدتها أقدامهم الثقيلة .. فنستريح بعد ذلك من صفارات التحذير المزعجة ومن المدافع الضخمة .. ونوجه جهودنا من جديد نحو السلام والنظام ونسير قدما بمدنيتنا العريقة التى هيئت لها النفوس ..

ـ ذلك جهد جد مرهق ! ..

ـ ولكنه يبذل لغاية نبيلة عظيمة .. واذا تخاذلنا ، أليس واضحا أن عدد الجبابرة يتضاعف ، وأن الغذاء السحرى اللعين يزداد انتشارا .. وسينمو النبات فى حقولنا وحدائقنا وتنمو الحشرات فى الآجام والمزارع والجرذان فى مجارى البيوت حتى يشتد خطرها ويصل عددها الى حد لا تكون لنا فيه حيلة .. هل تدرك أن باستطاعة السمك حين ينمو ويتضخم أن يغرق سفننا فى البحار .. كما يتسلق النبات بيوتنا ويخنقنا ، وبذا نصبح نحن الى جانبها كائنات ضئيلة تطؤها أقدام الجبابرة وتفتك بها الجرذان الضخمة .. وفى ذلك القضاء على الانسانية .. ماذا يفيد العالم بعد ذلك ؟ ! وماذا تجدى شكوانا اذا لم نفعل شيئا حاسما ؟ ! ..

ورفع الشاب يده الى أعلى ثم قال :

ـ فليفعلوا ما يفعلون .. وسأفعل أنا ما أراه واجبا .. اننى من أنصار التخلف ، ولكنه تخلف جرىء لا يخشى شيئا أو بطشا .. فاذا لم تكن ممن يريدون هذا الغذاء فأنت اذن متخلف .. لقد ضيعنا وقتا طويلا فى علاج الامر بالجدل واللسان والحلول المتراخية .. انك على

هذا المذهب ، أما أنا فلا .. سأعلن الحرب ضروسا على ذلك الغذاء .. حربا لا هوادة فيها .. بكل مافى طاقتى من قوة وجهد وعزيمة ..

وهنا قطب صديقه جبينه محنقا ، فالتفت اليه وقال :

ـ والآن .. ماذا أنت فاعل ؟

فقال صاحبه :

ـ أرى فى ذلك عملا مرهقا ومعقدا ..

فانتفض الشاب المثقف ، واضطربت اطرافه ، وقال فى حنق :

ـ أهذه عزيمتك ؟ .. تترك الامور وشأنها .. تسير كما تسير .. ان الطريقين واضحان .. طريق الحكمة والحزم ، وطريق الضلال والتخاذل . وأوساط الحلول وأنصافها ليس لها فى هذا الشأن مجال . وليس من ورائها فائدة ترجى .. فاما أن نتناول ذلك الغذاء السحرى ونصبح مردة جبابرة .. واما أن نقضى عليه ونفنيه .. ولا شىء غير هذين .. !

الفصل السابع :

الأميرة الجبارة !



الأميرة الجبارة

حدث أثناء الحملة التى قام بها « كترهام » لمناهضة الاطفال الجبابرة ـ وكان ذلك قبيل الانتخابات التى كان المفروض أن يتولى بعدها زمام الحكم فى وقت اضطربت فيه الاحوال والامور ـ حدث أن حضرت أميرة جبارة من بلدها الى انجلترا لاسباب قيل انها جد خطيرة . ومما هو جدير بالذكر ، التنويه عن المكانة التى ارتفع اليها «ونكلز» بسبب تغذية هذه الاميرة فبزغ نجمه وتألق ..

وخطبت الاميرة الجبارة لاحد أمراء انجلترا ، وكان الباعث على تلك الخطبة اسبابا سياسية ، ورتبت الامور لكى يكون حفل الزفاف حدثا بالغ الروعة يردد العالم أنباءه .. بيد أن اسبابا خفية لم تعلم كانت سببا فى تأجيل هذا الزفاف ، ونشطت الشائعات والتكهنات فى قصة هذا الزواج ، من بينها ان الامير لم تكن له رغبة فى اتمامه ، وانه راح يصرح بأنه لا يقبل أن يكون أداة لتنفيذ أغراض معينة لا تمت الى الزواج بصلة ، وانه اكتسب عطف الناس حين صرح بذلك

وحين نزحت الاميرة الجبارة الى انجلترا ، لم تكن تعلم ان بها جبابرة مثلها ٠٠ وقد يكون ذلك مبعث دهشة ، ولكنه الحقيقة التى لا شك فيها ٠٠ ويرجع ذلك الى الوسط المحتشم الذى كانت تعيش الاميرة فى محيطه ، والذى يسير فيه كل شىء وفقا للتقاليد ، فقد حرص المحيطون بها

على اخفاء انباء الجبابرة عنها ، وكان الحــرص اشد كى لا ترى أحدا منهم أو أن يجول بذهنها فى يوم من الايام ان فى الدنيا أحدا من الجبابرة غيرها .. وكانت الاميرة على تلك الحال حين التقت بـ « ردوود » الابن

وكان لدى الاميرة فى بلادها الكثير من الحدائق المزهرة الواسعة والتلال والفلوات ، تستطيع ان تستمتع فيها بحرية التنزه .. خصوصا وانه كان يستهويها جمال منظر الشمس عند شروقها وعند غروبها ، كذلك رؤية النجوم وهى تتلألأ فى قبة السماء . وكانت هذه المناظر الطبيعية تفتنهــا أكثر من أى شىء عداها فى هذه الدنيا ، فما أن وطئت قدماها ارض انجلترا ، واقامت بين أهلها ــ وهم المستمسكون بديمقراطيتهم ، المعتزون بتقاليدهم ــ حتى شعرت بأنها فى جو متزمت ، فقد حسبت عليها حركاتها، وضاقت ذرعا بتضييق الخناق عليها ، وبالحد من حريتها ، الامر الذى فرض عليها فرضا .. اذ توافــد الناس من شتى المدن ليروا الاميرة الجبارة ، فصار لزاما عليهــا اذا رغبت فى نزهة سيرا على الاقدام ، أن تستيقظ فى ساعة مبكرة ، قبل ان يهجر الناس مضاجعهم وبيوتهم ويسعون الى اعمالهم .. وكانت رؤية « ردوود » لها ــ لاول مرة ــ وقت الفجر ذات يوم

وكانت حديقة القصر الذى جعل لضيافتهــا مترامية الاطراف ، حتى أنها كانت تمتد الى مدى عشرين ميلا ، وخيل الى الاميرة ان أزهار أشجار البلوط القائمة على جانبى الطريق والتى تعلو فى ارتفاعها عن قامتها .. خيل اليها أن أزهارها كانت تتفتــح كلما مرت بها ، ودام إستمتاعها بمنظرها وإستنشاقها لعبيرها وقتا طــويلا ، فلما استهوتها الازهار اخذت تقطف أينعها كلما مرت بها

•• ولم تر الاميرة « ردوود » الا بعد ان صار على قيد خطوات منهـــا

كانت الاميرة تسير على مهل تحت ظلال الاشجار دون أن يخطر على بالها ما يخبئه لها القدر بوقوع ذلك الشاب فيحبها ، وهو يقترب منها .. وقد راحت تتسلى بانتزاع بعض الاغصان او ضمها الى بعضها ، وهى تظن أن أحدا لا يراها أو يرقبها

بيد ان التفاتة حانت منها .. فاذا بالعيون تتقابل ..

ولم يذهل الفتى للمفاجأة .. وان كان العطف عـلى هذه الفتاة من جانبنا عسيرا بالنسبة لضخامتها ، ولكن الامر عند الفتى كان على العكس من ذلك ، فقد بدت له فى رشاقة غصن البان باهرة الحسن والجمال .. فهىأنسب زوجـة تصلح له . وفى الحق انها كانت خفيفة الروح ، فارعة القوام ، ترتدى ثيابا هفهافة يداعبها نسيم الصباح فينزاح طرفه عن جسدها البض ، وكان بيـــدها بعض اغصان البلوط المزهرة .. وكشف طوق قميصها الواسع عن جيـد ناصع البياض وكتف بض .. وعبث النسـيم بشعرها ، فانحدرت منه خصلة ذهبية على خدها الوردى ، وكانت عيناها صافيتين فى زرقة السماء • واستمرت الاميرة فى سيرها بين الاغصان ، لا تفارق ثغرها بسمة عذبة

وكانت رؤيتها له مباغتة ، ففزعت .. وراح الاثنـــان ينظران الى بعضهما البعض لحظة .. وكانت لدهشـتها تكاد لا تصدق عينيها ، ولفتها الحيرة فقد راعها منظره فى مبدأ الأمر ، كأنها ترى أمامها شخصا مما تقـرأ عنـه فى الاساطير ، او شخصا هبط من عالم علوى ، اذ رأت أمامها شابا خارقا ، جبارا ، خارجا عن كل ناموس من نواميس الحياة

كان الشاب فى ذلك الحين لا يتجاوز الحادية والعشرين من عمره ، وسيما ، ممشوقا ، اكتسب عن أبيه سـمرة اللون والوقار ، يكتسى بثياب من الجلد النـاعم لصقت بجسـمه ... وكان عـارى الرأس على عادته . ووقف الاثنان يتخاطبان بلغة العيون ٠٠ هى ذاهلة تكاد لا تصدق ما تراه عيناها ، أما هو فقد راح قلبه يخفق فى دقـات متتالية ٠٠

كانت لحظة هـذا اللقاء من اللحظات المفاجئة التى لم تسبقها مقدمات أو عمل لها ترتيب أو اعداد.. لحظة من لحظات الحياة الحاسمة التى لها أعمق الأثر فى المصائر

على أن « ردوود » كان اقل دهشة من الاميرة ٠٠ ذلك لأنه كان دائب البحث عن فتاة أحلامه ، وكانت دقات قلبه واضحة مسموعة ، فتقدم نحوها على مهل وعيناه تحدقان فى وجهها .. ثم خاطبها قائلا :

ــ انك الأميرة بعينها.. لقد انبانى ابى بامرك.. الاميرة التى اطعمت الغذاء السحرى ..

فاجابته فى دهشة وذهول :

ــ اننى الأميرة حقا .. ولكن .. من انت ؟!

ــ انا ؟ ٠٠ اننى ابن ذلك الذى صنع الغذاء السحرى٠٠

ــ ماذا .. الغذاء السحرى ؟!.. هل تعنى أن هنـاك آخرين .. وأن غذاء ..

فلما رأى دهشتها قال بصوت مرتفع :

ــ هل انت خالية الذهن من ذلك .. الم تصل انباؤنا الى سمعك ٠٠ انت يا من ضمك ذلك الغذاء الى اسرتنا !

ولم يزايلها الارتياع الذى كان واضحا كل الوضوح فى عينيها وهما تحملقان فيه .. وبحركة لا ارادية ارتفعت

يدها الى صدرها ثم هبطت ثانيا ، وقالت بصوت كالهمس:
ـ لا ..

وشعرت بأن لا بد لها أن تبكي ، والا صرعها الاغماء.. بيد أنها تمالكت نفسها وأعصابها وراحت تتحدث وتفكر تفكيرا سليما واضح الاثر ، فقالت :

ـ لقد أحاطوني بسياج كثيف حتى لا يتسرب الى علمى شىء من ذلك .. اننى الآن كالحالمة .. نعم كالحالمة ، بل اننى أذكر انى حلمت بمثل ما أرى الآن واسمع .. واريد ان اسمع منك وأنا فى دنيا اليقظة.. فحدثنى .. من أنت؟ .. وماهذا الغذاء السحرى؟.. حدثنى فى هوادة ووضوح .. رباه .. لماذا لم يقولوا لى انى لست فريدة فى هـــذه الدنيا ..

***

راح « ردوود » يحــدث الأميرة وهــو مرهف الحس مضطرب .. فكان حديثه متناثرا فى البداية ، عن الغذاء السحرى وعن الاطفال الجبابرة الذين كثر عددهم فى بقاع شتى من انحاء العالم

وغنى عن القول ، أن من العسير أن يصف الانســان ظواهر عاطفة الحب الجــارف التى طغت عليهما ، وقد لاحت على كليهما الدهشة والحياء .. فكل منهما أدرك ما ألم بالآخر من مشاعر بما كشفت عنه أقواله المتناثرة ، فالفتاة لا تسمع من كلامه ، ولا تعى منه الا بعضه ، وهو أيضا كان طغيان العاطفة عليه شــديدا ، فراح يتحــدث ويكرر ثم يعيد ما يقوله فى غير وعى حتى لقد راح يتحدث فى شتى المواضيع .. حديثا شائقا مس وترا حساسا من قلب الاميرة ، ونقلها من غياهب الجهل بأحوال العالم الى دنيا المعرفة

وعرفت أخيرا أنها ليست فريدة فيما هى فيه من حال، وانها ليست شاذة عن غيرها من المخلوقات ٠٠ بل انها واحدة من جمع عديد أعضاؤه ينتشرون فى كثير من بقاع العالم ، أطعموا جميعا الغذاء السحرى فنموا ذلك النمو الهائل الذى اخرجهم من دائرة البشر الصغار العاديين الذين يعتبرون بالنسبة اليهم أقزاما ضئيلة

وتشعب حديث «ردوود» حتى تناول أباه و «كوسار» وتحدث عن الجبابرة المنتشرين فى كل مكان . وأطنب فى الحديث عن عهدهم الجديد المزدهر ، ذى الأثر العظيم الذى لاحت بوادره فى تطور العالم ، ثم قال :

ـ اننا لا زلنا فى فجر عهدنا ٠٠ فنحن لسنا سوى طليعة لعالم المستقبل ـ عالم الغذاء السحرى ـ وانى لاتفق فى الرأى مع أبى فى أن عالم الصغار مصيره الى انقراض ٠٠ وعندما يحين ذلك الوقت سيكون الجبابرة أحرارا لا يضايقهم ولا يقتتل معهم أحد .. ويقبلون على أعمالهم التى ستكون ولا شك جليلة وعظيمة .. وانى متفائل بالمستقبل الزاهر الذى ينتظر الجبابرة، فنحن انما وجدنا على سبيل التجارب الاولى لخلق جيل عظيم ..

فقالت له الفتاة :

ـ لقد انهيت الى بتفاصيل كنت خالية الذهن منها..

واستطرد «ردوود» قائلا :

ـ يجول بذهنى أحيانا أننا وجدنا قبل الوقت المناسب .. وأنا لا أنكر أن وجودنا فى الطليعة لا يضيرنا .. ولكن العالم لم يهيأ لهذا التطور ولظهور أى كائن أو اى شىء اكتسب ضخامته وعظمته من الغذاء السحرى ٠٠وقدحدثت مناوشات ومنازعات وكثير من الجدل ، اتضح لنا منها أن القوم الصغاريبغضوننا ويناهضوننا .. لا لشىء الا لأنهم

صغار ، ولان أقدامنا ثقيلة على مقومات معاشهم .. وهم يتمنون ان يقضوا علينا وأن يفنونا ، الا اذا عدنا صغارا مثلهم .. انهم يستشعرون السعادة فى بيوتهم التى هى فى نظرنا زنزانات سجون .. ان مدنهم لا تلائم ضخامتنا وليس فى استطاعتنا أن نسير فى طرقاتها .. ولا نستطيع أن نلج كنائسهم لأن أبوابها أقصر من هاماتنا وأصغر من أحجامنا .. ويضايقهم منا ان أبصارنا أعلى من مستوى جدرانهم واسوارهم .. وأن بوسعنا ان نراهم من نوافذهم العليا ، فتظهر لنا عاداتهم ونرى ما يبيتونه لنا من مكائد .. واذا اقتربنا منهم أو جسنا بأرضهم أو هممنا بعمل ما ، رأيناهم يصرخون ويصخبون .. وسيرنا الطبيعى فى نظرهم جرى وعدو .. وكل ماهو كبير لديهم انما هو ضئيل فى نظرنا .. وان أفقهم الضيق وأعمالهم السخيفة وأساليبهم الوضيعة لهى حجر عثرة فى سبيل نشاطنا وتقدمنا .. فآلاتهم لا تلائم سواعدنا القوية ، وليس بوسعنا أن نعمل عليها لنحصل على مقومات حياتنا ..

وليت الأمر يقف بهم عند هذا الحد ، بل انهم أيضا يضايقوننا ويقيدوننا بأساليبهم الملتوية .. بينما قوة الواحد منا تعادل مائة مرة قوة الفرد منهم .. ولكننا عزل ، ولهذا كتب علينا ان يتحكموا فينا .. لان الارض فى نظرهم ملك لهم ، وهم يرهقوننا بأثمان ما نحتاج اليه منهم من طعام وكساء يتناسبان مع ضخامتنا .. فيطلبون منا مزيدا من الكدح لارضاء رغائبهم

وهم يتفننون فى ابتكار وسائل ازعاجنا ، والتضييق علينا ، بينما ليس باستطاعتنا أن نحيا الا اذا اقتحمنا أرضهم .. ولم أستطع ان اصل الى هنا والقاك الا بعد أن تخطيت بعض حواجزهم ، وهم يحولون بيننا وبين الاستمتاع بمباهج الحياة مثلهم .. فحظروا علينا الذهاب الى المدن

وعبور الجسور والسير فى حقولهم وارتياد الاماكن التى يصيدون فيها الطيور بنيران بنادقهم .. وأنا الآن فى عزلة تامة فيما عدا ابناء « كوسار » الثلاثة .. وحتى هؤلاء يقيمون العراقيل للحيلولة دون وصولى اليهم . ويخيل الى أنهم يدأبون على التفنن فى ايقاع الاذى بنا ..

فقالت له :

ـ لا تنس اننا أقوياء ..

ـ نعم .. بل هذا ما يجب أن نكون عليه .. واننا لنشعر جميعا ـ وأعتقد أنك تشاركيننا نفس الشعور ـ بأننا أقوياء الى حد يمكننا من القيام بأعظم الاعمال .. ان قوة مضطرمة تعتمل بين جوانحنا ، ولكننا مع ذلك محجمون عن الاقدام على أى عمل ..

قال ذلك وهو يلوح بيده الهائلة فى الهواء ، كأنما ليظهر للعالم مبلغ جبروته ..!

ولاذت الفتاة بالصمت فترة قصيرة ، ثم قالت :

ـ لا أكون كاذبة حين أقول ان جميع هذه الخواطر جالت بذهنى حتى وأنا أظن ان ليس هناك مخلوق ضخم الا انا .. لقد كانوا يلقنوننى أن القوة ضرب من ضروب المعاصى ، وأن من الافضل للمرء أن يكون عاديا صغيرا عن أن يكون ضخما هائلا.. وأن الأديان جميعها تشير بالعطف على الصغار وتشجيع الضعاف وتمكينهم من التكاثر .. وأن الواجب يقتضينا التضحية حتى بقوانا من أجلهم.. ولا أكتم عنك أننى كنت أرتاب فى ذلك الذى كانوا يلقنوننى اياه !..

فقال لها :

ـ أؤكد لك أننا خالدون .. وأن اجسادنا لن يدركها العدم ..

ـ هذا صحيح .. لن يدرك الفناء أجسادنا ..

ـ كذلك لم نخلق لنضيع حياتنا هباء .. انني أشعر انا واخواني اننا على أبواب صراع رهيب .. بيد أنه ليس باستطاعتي ان اتكهن بما سنلقاه في ذلك الصراع قبل أن تسمح لنا هذه المخلوقات الصغيرة بأن نعيش الحياة التي نبتغيها .. لقد تدارسنا جميعا هذا الأمر ، وتدارسه معنا «كوسار» الذي حدثتك عنه ..

ـ ولكنهم صغار وضعفاء .. !

ـ انهم حقا كذلك ، ولكنهم يملكون صنوفا من وسائل الهلاك كما تعلمين .. وقد تمرسوا على القتال ، وتفننوا حتى برعوا فيه لكثرة اقتتالهم مع بعضهم البعض .. وهم يتقنون الخداع والمخاتلة . ولذا فاني أتوقع كفاحا مريرا بيننا وبينهم .. كفاحا آتيا مافي ذلك شك .. هو مايدعونه هم حربا ، بيد اننا على كل حال مستعدون .. فالويل لهؤلاء الأقزام وان كنا لا نعرف القتل أو لا نحب أن نقتل أحدا ..

بيد أنها قاطعته هاتفة :

ـ انظر ..!

وتناهى الى سمعه صوت بوق منطلق ..

والتفت « ردوود » الى الناحية التي تنظر اليها ، فلمح سيارة لامعة يقودها سائق في ثياب سوداء وقد احتشدت بأشخاص يرتدون فراء .. وكان السائق هو الذي ينفخ في البوق . ودنت السيارة من قدمى الفتى فتفاداها ، وواصلت سيرها والسائق يطلق نفخات غاضبة ، ثم عرجت الى المدينة . وتناهى الى سمع الفتى حديث واحد ممن في السيارة يقول :

ـ انه يعترض طريقنا ..

وتلاه واحد آخر منهم يقول :

ـ هل رأيت الأميرة الجبارة خلف الاغصان ؟..

ورآهم الفتى يتجهون جميعا بأبصارهم نحوها في ذهول ، ثم قال ثالث منهم :

ـ لم يعد باستطاعتنا السكوت على ذلك ..

وتكلمت الاميرة فقالت :

ـ لعمرى ان هذا لعجب عجاب .. لا ادرى وربى كيف اصفه ! ..

فقال لها « ردوود » :

ـ واذا كانوا لم يحدثوك عن ذلك ..

ثم توقف عن الاسترسال فى الكلام قبل ان يتمه، فقالت الفتاة :

ـ كنت قبل ان اراك اعتبر نفسى الجبارة الوحيدة فى هذا العالم .. وبالرغم من ذلك فقد نهجت نهجا خاصا فى حياتى .. وكانت نظرتى الى نفسى أننى فلتة من فلتات الطبيعة جاءت عفوا .. ولكن هذا الزعم انقشع الآن من خاطرى فى هذه الدقائق ، وطالعنا عالم آخر وظواهر أخرى ومستقبل عامر بالاحداث .. وعثرت على رفاق !..

فقال « ردوود » فى شرود :

ـ رفاق ! ..

***

وقالت الاميرة لـ « ردوود » :

ـ ان بى رغبة فى مزيد من حديثك .. مزيد ومزيد .. ان ما تذكره يتراءى لى وكأننى أقرأ أحداث احدى القصص التى يندمج فيها المرء فيكون كالحالم .. حتى

ظهورك أنت على مسرح حياتى يترك هذا الاثر فى نفسى..

وتناهى الى سمعها صـوت ساعة القصر حين اخذت تدق ، وبلغ عدد دقاتها سبعا .. وهو فى حيرة من أمره ، فقالت له :

ـ لقد حان موعد عودتى الى القصر ، ففى هذه الساعة يأتون لى بالقهوة فى الجنـاح الذى أقيم فيه .. ويدب النشاط فى كل مكان بالقصر ، وياله من نشاط !.. انهم يتساءلون الان عن سبب تخلفى .. على أننى أرغب فى التحـدث اليك ، ولكن لندع ذلك الان .. فانى أريد أن أخلو الى نفسى لافكر فى كل شىء تناوله تبدل ، وأريد أن أزيل من ذهنى شـعور وحدتى السابقة ، وأن أدمجك واخوانك الاخرين فى دنياى .. ولهذا سأغادرك الان وأعود الى القصر ، بيد أنى سأجيىء مرة اخرى الى هنـا ... وسيكون ذلك فى فجر الغد ...

فقال لها على الفور :

ـ ستجدينني فى انتظارك ..

وعادت الاميرة تقول :

ـ وسأكرس يومى لهذا العالم الذى حدثتنى عنـه والذى لا أكاد أصـدق وجـوده .. أسـبح بأحلامى وأفكارى ..

ثم خطت خطوة الى الوراء ورشقته بنظرة فاحصـة ، وتلاقت نظراتهما .. وظلت فترة ساكنة بلا حراك ، ثم قالت وقد افتر ثغرها عن بسمة واهنة أبعد ما تكون عن البسمات :

ـ لاريب فى انك انسان .. ولكن ما أغرب ماحدثتنى عنه ... ماذا يكون لو فرض انى جئت غدا فوجدتك قد

عدت صغيرا مثلهم ·· يجب أن أفكر ·· فالى اللقاء كما يقولون ··

ومدت يدها الى « ردوود » .. ولأول مرة تلامس جسماهما وتماسكت الايدى ، ثم تلاقت الاعين مرة أخرى .. وأخيرا قالت له :

ـ والان الى اللقاء .. الى اللقاء .. وموعدنا غدا يا أخى الجبار !..

وبدا أن فى نفسه شيئا يريد أن يقوله قبل أن تنصرف .. ولكنه أحجم عن الكلام ، واكتفى بأن رد على تحيتها قائلا :

ـ الى اللقاء ...

بيد أن الايدى ظلت متماسكة فترة قصيرة ، وقد راح كل منهما يتملى وجه صاحبه ويتفحصه كأنما ليقرأ ما يرتسم عليه من خلجات ..

وبعد ذلك تركته وانصرفت ، بيد انها بعد ان ابتعدت عنه أخذت تنظر خلفها عدة مرات فى ريبة من أمره ، فوجدته ثابتا فى مكانه .. حيث التقيا !

وعندما بلغت القصر سارت فى بهوه فى أنفة وعظمة ، وفى يدها غصن من أغصان البلوط ، تدلى من خلفها على الارض ، ثم لاذت بجناحها الذى تقيم فيه

***

وتقابل الاثنان بعد ذلك أكثر من عشر مرات قبل أن تتطور الامور ، وكان لقاؤهما يتم فى البستان المترامى الاطراف أو على المرتفعات، وفى أحضان الوادى ذى الممرات المتربة والبقاع التى يكسوها العشب وتحف بها أشجار الصنوبر، وفى الطريق الكبير الذى تظلله أشجار البلوط ، وحول

البركة التى كان قد أمر جدها الملك بانشـــائها ، حيث يجلسان عند حافتها التى يكسوها الكلأ الاخضر .. وقد اتخذ مكانه عند ركبتيها ، لا يرفع بصره عن وجههـــا، ويحدثها بما قاساه هو واخوانه ، وعن عمله الذى كلفه ابوه به .. وعما يعتزم الجبابرة ان يفعلوه من جـــلائل الاعمال ...

وكان لقاؤهما يتم دائما عند مطلع الفجر ، بيـــد انهما تقابلا ذات مرة فى عصر احد الايام ، فلمحا بعض حشـــود من الناس عن كثب منهما ، يســـترقون الســـمع والنظر خلال الاغصان .. بل لقد ذهب الفضول ببعضهم فاستقلوا القوارب وراحوا يقتربون منهما ، وينصتون الى احاديثهما .. فكانت هذه اولى بوادر اهتمام القوم بهذين العاشقين وبلقائهما .. وكذلك التقيا ذات مرة فى ليلة مقمرة ، ولمحهما الناس وهما يتناجيان ، فلاكتهما الالسن ..

ودار حديثهما ذات مرة حول الامل الذى يراودهما ، وهو اعداد عالم كبير من الجبـــابرة وعن الكفـــاح الذى ســـيقوم من أجل تحقيق هـــذه الغـــاية ، والذى لابد سيشتركان فيه ، وعرجا على شئونهما الخاصة فتناولاها بحديث أفاضا فيه ..

وعلى مر الايام وتعدد اللقاء ، استشعرا أن بينهمـــا رباطا أقوى من الصداقة ، يزيد من تقاربهما ويجتذب كلا منهما نحو صـــاحبه .. وأخيرا عبر لســـاناهما عن تلك العاطفة ، وعرفا أنهما حبيبان .. وأنهما الاساس لجيل جديد ، هما آدمه وحواؤه ..

واستجاب قلباهما لهذه العاطفة ، ولاحت لهما الدنيا غير ما كانت عليه ، فكانا يريان ويلمسان الجمال فى كل

شيء .. فالنجوم اجرام تضييء طريق حبهما وتحرسه ، والفجر جعلته الطبيعة ليكون موعدا للقائهما ، وحرارة الشمس تشعرهما بنار الوجد المشتعلة فى قلبيهما وبين ضلوعهما ، فسبحا فى دنيا الهيام وغمرهما الحنان وتأججت فى اعماقهما العاطفة فراحا يتناجيان ، وتقاربا ، وتلاقت أعينهما على ضوء القمر تحف بهما اشجار الصنوبر كأنما لتحييهما ..

وخيل اليهما أنهما يسبحان فى عالم غير هذا العالم .. لا يشعران فيه الا بالسعادة تغمرهما ، ولا يسمعان فيه الا دقات قلبيهما ، تترجم لهما مشاعرهما .. وبدأ لهما انه عالم سرمدى ، لا فناء فيه ولا موت . وليس تحليقهما فى هذا الخيال بالشيء المستغرب بعد أن استبدت بهما عاطفة الحب ، فأحسا بأنهما ينثران الجمال فى كل شيء ويضفيانه على كل ما يحيط بهما ..

الفصل الثامن :

العاشقان ..!



العاشقان

ليس يخفى على أحد ما استولى على الناس الصغار من دهشة مقرونة بالانزعاج حينما ذاع بينهم أمر تلك العلاقة التى توطدت أواصرها بين صاحبة العظمة والسمو الاميرة التى جاءت خصيصا ليخطبها أحد الامراء ، وبين شاب جبار من عامة الشعب ، فهو لا يعدو أنه ابن استاذ فى علم الكيمياء .. ليس ذا مكانة مرموقة ، فلا هو صاحب مال أو جاه او منصب او لقب من القاب الفخامة .. وأن اللقاء بين الاميرة والشاب توالى وتعدد ، وأنهما راحت تبادله الاحاديث كأنه لم يعد فى الدنيا ملوك أو أمراء ولا نظام وقوانين ، وكأنه ليس بالعالم سوى أقزام وبعض الجبابرة ، وما من شك فى أن تعدد لقاء الاميرة بالشاب تمخض عن حبها له ...

***

قالت الاميرة لفتاها الذى أحبها واحبته :

ـ انهم ينادون بضرورة افتراقنا ...

فصاح قائلا :

ـ ولماذا يريدون ذلك ... هل فقدوا رشدهم وطاش صوابهم ؟! ..

فقالت الاميرة :

ـ انهم يعتبرون حبك لى خيانة عظمى تستحق العقاب الصارم ..

فهتف قائلا :

ـ هراء ذلك الذى يرددونه .. ماذا يعنينا منه ؟.. كيف يتشدقون بأن لهم حقا علينا .. اننى لا أقيم وزنا لما يهرفون به مما يسمونه ولاء أو خيانة !

ـ استمع اذن الى ما قيل لي .. جاءنى رجل من الصغار لم تقع عينى على رجل فى مثل شكله ، وكان صوته عذبا خفيف الحركة لطيفها .. دلف الى حجرتى كما تتسلل الهرة .. وكان يقرن كلامه باشارات من يده الدقيقة البيضاء كلما أراد أن يعبر عن شيء هام .. وكان برأسه شعيرات قلائل حتى ليكاد يكون أصلع الشعر .. ذو انف دقيق ووجه صغير ، والاثنان مشربان بحمرة وردية .. وله لحية مدببة ومسترسلة . وذكر الرجل ان نفسه جياشة بالعواطف ، وقد ظهر ذلك جليا فى عينيه المتألقتين .. وله بالاسرة المالكة رابطة الصداقة .. وكان يخاطبنى فى اعزاز بالغ ، اذ كان يستهل كلامه وهو يخاطبنى بكلمة « سيدتى العزيزة » وقد أبدى كثيرا من مشاعر العطف نحوى .. وهو يقول لى : « سيدتى العزيزة .. تعلمين ولاشك أن من أولى واجباتى ... » وكرر هذه العبارة جملة مرات .. ثم قال : « ان أمامك رسالة هى فى حكم الواجب .. »

فالتفت اليها الفتى بغتة وقال لها :

ـ لعل ما قاله سخف وهراء ...

ـ بل كان ذا مغزى دون شك ..

ـ هل تعنين .. ؟

ـ أعنى اننا قد انتهكنا دون أن نعلم أقدس تقاليد أولئك القوم الصغار .. فانهم يرون فينا ـ نحن أبناء

الملوك الذين يجـرى فى عروقهم الدم الازرق ــ اننا من طبقة أرفع من سائر الطبقات لا تمت الى أى واحدة منهـا بصلة ‥ واننا خلقنا لتقبل آيات الولاء وان كنا ندفـــع الثمن باهظا من حريتنا ومن التقاليد المقيدة لها ‥ انهم يرغبون تزويجى بأميرهم ‥ وأكبر ظنى انك لا تعلم من أمره شيئا .. انه أمير قزم ضئيل ليست به رغبة فى هـــذا الزواج .. ويبدو لى أنهم يسعون من ورائه الى تقوية الروابط بين بلدى وبلد الامير ، وهم يتوقعون ان انجلترا ستفيد من هذه الزيجة .. فهل تدرك مدى ماينطوى عليه زواج هذه بواعثه ؟ ‥ زواج لا يمت بسبب أو صلة الى تلك الرابطة المقدسة ! ‥

ــ وماذا يبتغون منك الان ؟..

ــ انهم يطلبون منى ان ارضخ لرغبتهم ... كأن مابيننا لم يكن ..

ــ هكذا ؟ ! ...

ــ نعم .. ولم يقتصر الامر على ذلك .. بل ..

ــ ومن طلب اليك ذلك .. اهو الشخص الذى يلقنك الاداب الاجتماعية ؟..

ــ أجل .. فقد أنهى الى أن من الافضل لك ولجميع اخوانك من الجبابرة أن نقطع ما بيننا والا نجتمع فى لقاء أو حديث

ــ ولكن ما شأن أولئك المتطفلين بنا وبحبنا ؟.. من أعطاهم هذا الحق ؟ .. لماذا يدسون أنوفهم فى أمورنا وهم ليسوا منا ؟

ــ انهم لا يؤمنون بهذا المنطق ..

ـ وأنت لا تهتمين طبعا بما قاله الرجل ..

ـ يخيل الى أن الامر أبعد من ذلك وأعمق ..

ـ انها لحماقة أن يفرضوا علينا قوانينهم وأن يربطونا الى عجلة تقاليدهم العتيقة السخيفة .. أعتقد أن الامر يقتضينا الا نلقى بالا الى ما يهرفون به ..

ـ اننى ملك يمينك طالما أن الامور ..

ـ لماذا تعلقين الامر هكذا ؟!

ـ هل يمكن أن نتجاهل وجودهم ؟.. واذا عملوا على التفريق بيننا !..

ـ وما مدى قدرتهم ؟.. ماذا باستطاعتهم أن يفعلوا ؟

ـ هذا مالا أعلمه ...

ـ وماذا يعنينا من محاولاتهم ؟.. أنت وأنا كل منا للاخر .. فماذا غير ذلك ؟. نحن لبعضنا الى الابد ... هل يجول بذهنك ان أرضخ لمشيئتهم ولقيودهم وأوامرهم واتخلى عنك ؟..

ـ اننى أريد أن أعرف مدى سلطانهم وقدرتهم ..

ـ بل تريدين أن تعرفى ماذا يقتضينا أن نفعله ؟

ـ أجل ...

ـ لن نقطع علاقتنا .. مافى ذلك شك ..

ـ واذا عمدوا الى التفرقة بيننا قسرا ؟

فلوح الفتى بقبضة يده فى الهواء ، واستدار الى الخلف كأنما حشود الصغار قد جاءت لتفرق بينه وبينها، ثم سرح ببصره فى الفضاء وقال :

ـ انك على حق .. ترى ماذا يمكن أن يفعلوا ؟

ـ فى هذا المكان ...

وفكر الفتى قليلا ثم قال :

ـ انهم منتشرون فى كل مكان ...

ـ يمكننا أن نرحل وننجو بأنفسنا ..

ـ الى أين ؟ ...

ـ عبر البحار ·· نسبح فيها ·· الى حيث يريد بنا القدر ...

ـ لم تسبق لى هذه التجربة ..

ـ اذن فالى الجبال الشامخة حيث لا تقع علينا عين انسان منهم ، وحيث الوديان المترامية والبحيرات الهادئة التى لا يعرفون مكانها والهضاب التى يكسوها الثلج والتى لم يذهب اليها انسان .. هناك .. هناك ملاذنا يا حبيبتى ·· !

ـ وكيف السبيل اليها ؟ .. انها تقتضيناكفاحا مريرا وقتالا عنيفا ·· لاننا لكى نصل اليها يتحتم علينا ان نمر بالملايين من هؤلاء البشر

ـ هذا قبس أملنا الاوحد .. ليس لنا هنا بقاء أو مقام أو درع نحتمى به .. فماذا نكون نحن تجاه هذه الحشود ؟.. انهم صغار وفى امكانهم أن يختبئوا ، أما نحن فليس فى مقدورنا أن نختفى عن أعينهم .. وليس لنا مأوىولا طعام .. انهم سيدأبون علىمناهضتنا ومطاردتنا واقتفاء أثرنا ليلا ونهارا أينما ذهبنا ...

وفكر الفتى ، وبدا كأن فكرة لاحت بخاطره ، فقال على الفور :

ـ اننى اعرف المكان الوحيد الذى نحتمى به فى هذا البلد ..

فقالت الاميرة بلهفة :

ـ وأين هو ؟...

ـ انه المكان الذى يقيم فيه اخوانى الجبابرة ، فقد اقاموا سورا حول بيتهم من جميع الجهات .. وحفروا حوله خنادق عميقة وأنشئوا به مكامن دقيقة .. لقد حضر الى أحدهم منذ وقت ليس ببعيد وحدثنى .. ولعله كان يحدثنى عن الاسلحة .. فى ذلك المكان نجد ملاذنا ومأوانا ..

وتوقف الفتى عن الكلام قليلا ، ثم استطرد يقول :

ـ لقد مضى وقت ليس بالقصير لم أقابل فيه اخوانى .. وكنت أثناء ذلك أحلم يا حبيبة القلب .. وراحت الايام تمر وأنا على أمل لقياك .. يجدر بى الان أن أسعى اليهم وأقص قصتنا عليهم وأوضح لهم الاخطار التى تهددنا .. أنت وأنا .. وانى لواثق أن فى مقدورهم أن يمدوا لنا يد المساعدة اذا أرادوا ذلك .. وفى هذه الحالة أستطيع أن أطمئن الى ماينتظرنا من خير .. وأغلب الظن أن « كوسار » قد حصن ذلك المكان وجعله على قدر كبير من المناعة .. لقد كنت أتوجس من الشر الذى شعرنا ببوادره قبيل حلولك بيننا وانضمامك الى دنيانا .. ولقد فرغ أولئك الصفار من معركة انتخاباتهم التى اقحموا أمرنا فى الدعاية لها فكانوا ينادون بالقضاء على جنسنا .. طبعا الا أنت يا حبيبتى ، لهذا فقد استقر رأيى على أن أسعى الى اخوانى لابصرهم بالاخطار التى تهددنا ...

***

تاخر الفتى قليلا فى موعد اللقاء التالى ، فقد كان

الوقت الذى حدداه حوالي الظهر فى بستان بجوار النهر .. توجهت اليـه الاميرة وراحت تنتظره ، وقد ظللت عينيها بيدها وأخذت تتطلع وتترقب مجيئه .. وبدا لهـا العالم وقد سكن كل شيء فيه كأنه يجاريها فى سكونها ..

وفى هذه المرة ، لم تر أثرا للعيون التى كانت تلاحقها وتتتبعها كلما سعت الى لقاء حبيبها ، فقد انقضى شطر كبير من النهار وهى تتلفت هنا وهنـاك دون أن تلمح احدا .. كما لم يقع نظرها على قارب يسبح فى النهر ، فحلقت بأفكارها فى هذا السكون الشامل الذى ران على الكون فى ذلك الوقت ..

ونبهها من أفكارها أنها لمحت حبيبها « ردوود » مقبلا من بعيد بين الاشجار ، بيد أنه لم يلبث ان اختفى عن نظرها ، ثم عاد فظهر وهو يسرع الخطى بين الاشجار .. كان يسرع فى السير هذه المرة على خلاف ما عهدت فيه ، ولحظت أنه يعرج .. ولما لوح لها بيده سارت نحـوه ، وحين صارت قريبة منه ووقع نظرها على وجهه ، تبينت مبلغ الالم الذى يعانيه فى كل خطوة من خطواته ، فانزعجت وانتابها قلق شديد وهرولت نحوه فى وجل ، وازدحمت راسها بعشرات الاسئلة تريد أن تستفسر بها جلية الامر منه ، ولكنه اقترب منها وراح يحدثها من غير أن يحييها .. ثم قال لها فى لهفة :

ـ هل كتب علينا أن نفترق ؟

فتناولت يده بين يديها فى حنان دافق ، وقالت :

ـ لن أبتعد أو افترق عنك .. بل لن اقبل او اسمح لك بأن تفارقنى ، ولو بذلت حياتى ثمنا لذلك ! ..

فقال لها وهو فى دهشة من هذا الذى قالته فى اعتداد وصراحة :

ـ هكذا ؟ .. الى هذا الحد ؟ ..

وشعرت الاميرة بيده تضغط على أصابعها وتقبض عليها ، فسرت فى جسدها رعشة غامضة لا عهد لها بها ...

وراح الفتى يدور بعينيه فيما حوله كأنه يتوجس من قدوم أولئك الصغار فيرونه وهو يتحدث الى حبيبته ، ثم قال :

ـ ربما كان فى ذلك هلاكى ..

ورأت كلامه غامضا ، فسألته مستوضحة :

ـ أوضح ما تقول ..

فقال لها الفتى :

ـ لقد بذلوا شتى المحاولات لكى يحولوا بينى وبين الحضور للقائك فى هذه الساعة

ـ وكيف كان ذلك ؟

ـ حينما بارحت المصنع حيث كنت أقوم على صناعة الغذاء السحرى للاحتفاظ به فى بيت ابناء «كوسار» .. تصدى لى رجل صغير من رجال الشرطة يرتدى ملابس زاهية اللون ، ويضع فى يديه قفازين أبيضين .. وطلب هذا الرجل الى أن أقف ، منبها اياى بأن هذا الطريق موصد .. فلم أعره كبير اهتمام ، ثم درت حول المصنع ملتمسا الطريق الآخر .. فوجدت زميلا له قال لى هو أيضا ان السير هناك ممنوع .. بل قال ان جميع الطرق ممنوعة ..

ـ وماذا فعلت ؟ ..

ـ دخلت معه فى مناقشة ، وقلت له انه طريق عام ..

فذكر أنه من أجل هذا يمنعنى لاننى أتلف بضخامتى وثقل قدمى طريق الجمهور ، فقبلت اعتراضه وقلت له انى سأسير عبر الحقول .. وما أن بدأت السير حتى فاجأنى رجال آخرون ، برزوا من وراء السور ونهرونى ذاكرين أن تلك الحقول أملاك خاصة ليس لاحد أن يسير فيها .. فلم يسعنى الا ان صببت جام غضبى ولعنت الاملاك العامة والخاصة ، وصرخت فى وجوههم بأنى ذاهب الى أميرتى الحبيبة .. وبعد ذلك أنحنيت وأمسكت بالرجل الصغير فى لين ولطف ، فراح يضرب بقدميه ويصرخ مستغيثا .. فأعدته الى الارض ونحيته جانبا . وفى لمح البصر رأيت حشودا منهم تملأ الحقول من حولى يهرولون غدوا ورواحا ، ولمحت واحدا منهم يمتطى جوادا .. وقف بجانبى وراح يقرأ شيئا بصوت مرتفع .. ولما انتهى من القراءة ركل جواده فركض وابتعد به .. بيد أنى لم أفقه كلمة مما قرأه الرجل . وفى اللحظة التالية دوت من خلفى طلقات البنادق ...

فقالت مذهولة :

ـ بنادق !؟..

ـ أجل كتلك التى يطلقونها على الجرذان الضخمة .. وردد الهواء أصداء الطلقات ، وقد أصابتنى طلقة منها فى ساقى ...

فقالت له فى ألم ودهشة :

ـ ومع ذلك سعيت الى !؟...

فأجابها وهو مزهو بنفسه :

ـ هو ذاك ... وقد خلفتهم ورائى يصخبون ويقتفون اثرى وهم يطلقون رصاصهم ... والآن ...

ـ والآن ماذا ؟ ...

ـ انه نذير البداية .. انهم يسعون الى التفريق بيننا .. وهم الآن فى طريقهم الينا ...

فقالت الاميرة فى عزم واعتداد :

ـ لن نفترق ! ..

ومس قولها وترا حساسا من نفسه ، فقال لها :

ـ أجل يا حبيبتى .. لن يكون بيننا فراق .. ولكن اذا شئنا الا نفترق فان عليك أن تصحبينى الى حيث يقيم اخوانى الجبابرة ...

فسألته فى حزم وعزم :

ـ وكيف نصل اليهم ؟

ـ سيأتى القوم الذين يطاردوننى من هذا الطريق .. فعلينا أن نتجنب طريقهم بأن نجعل وجهتنا ناحية الشرق .. فى ذلك الطريق الممتد الذى تظلله الاشجار .. وسأتقدمك فى السير ، حتى اذا وجدتهم رابضين فى انتظارنا ...

وهم بالسير .. وما أن خطا خطوة واحدة حتى أمسكت بذراعه وقالت :

ـ كلا .. يجب الا تسير بمفردك ، سنسير جنبا الى جنب ، وذراعى فى ذراعك .. اننى سليلة الملوك ، وقد يكون فى ذلك ما يحرم عليهم ايذائى .. وحين تكون ذراعى فى ذراعك فقد لا يطلقون عليك رصاص بنادقهم .. الا ليتنى أستطيع أن أطير وانا اضمك بين ذراعى .. يا حبيبى ! ..

قالت ذلك وطوقت كتفه بذراعيها ، وقبضت على يده ثم التصقت به ، وعادت تقول :

ـ نعم .. قد لا يطلقون عليك رصاص بنادقهم ...

بيد أنه ما أن أحاطته بذراعيها وضمته الى صدرها ، حتى جاشت عواطفه الكامنة وتأججت لواعجه ، فضمها الى صدره ضمة قوية ، وطبع قبلة حارة على خـدها ، أفرغ فيها كل مشاعره ، واستمرت ضمته لها فترة من الوقت ، فقالت له فى همس وكأنها حالمة :

ـ أتمنى لو دفعت حياتى ثمنا لذلك ! ..

ثم طوقت عنقه بذراعيها ، ورفعت وجهها الى وجهه ، وقالت :

ـ قبلنى يا حبيبى مرة أخرى ...

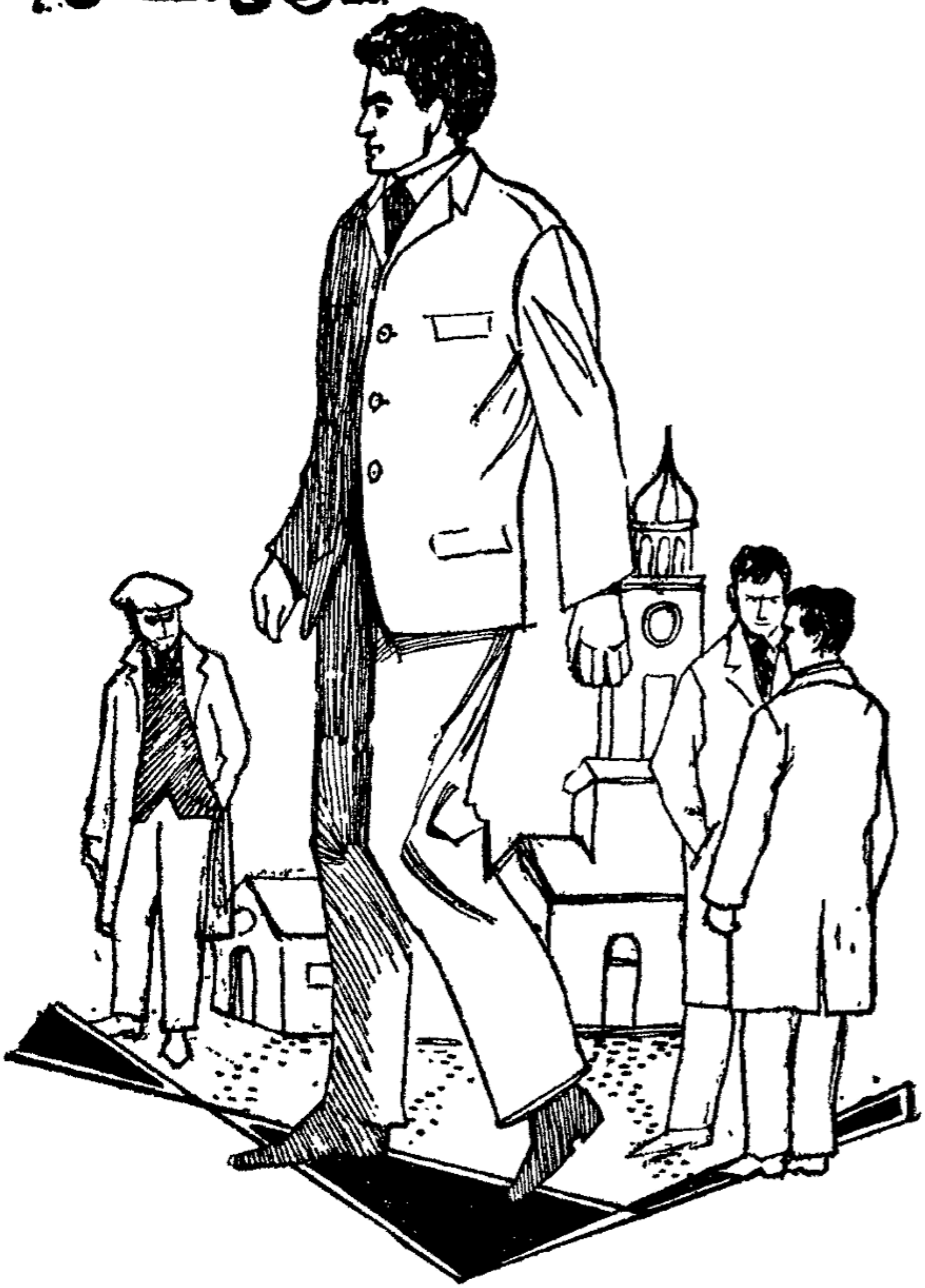
فضـمها الى صـدره مرة ثانيـة ، وغرقا فى دوامة غرامهما ، وراحا يتبادلان القبلات على الشفاه ويشددان الضمات ، وظلا فى نشوتهما تلك فترة من الوقت .. ثم شبكت يدها فى يده وازدادت قربا منه والتصاقا به ، وأخذا يسرعان الخطى ويحثان السير بغية الوصول الى بيت أبناء « كوسار » قبل أن يدركهما القوم الصغار ..

وبينما كانا يحثان السير فى بستان القصر ، اذ برز لهما من خلال الاشجار بعض الفرسـان ، أطلقوا الاعنة لجيادهم ، ولكنهم عبثا حاولوا أن يدركوهما .. وبعـد أن أفلتـا من هـذه المطـاردة العنيفـة الخطيرة رأيا فى مواجهتهما عددا من البيوت ، خرجت منها شرذمة من الرجال يحملون بنادقهم . وأراد الفتى الجبار أن يواصل

السير وأن يقتحم طريقهم ، ولو ادى ذلك الى ان يقاتلهم لينحيهم عن طريقه هو وحبيبته ...

ولكن الاميرة العاشقة ، بعقلها المفكر ، أشـــارت عليه بأن يحيـــد عن طريق الرجال المسلحين ... ثم ســـمعا وهما يسيران رصاصة تمرق فوق رأسيهما ...

الفصل التاسع :
المارد في لندن !



المارد فى لندن

تخير « كادلز » هـــذه الفترة من الوقت ليخرج عن ذلك النطاق الضيق فى محجر الطباشير الى العـــالم الواسع ... وكان فى ذلك الحين يجهل كل شىء عن الاحداث التى قامت ، وعن المحاولات التى كانت تبـذل لمناهضة الاخوان الجبابرة بغية القضاء عليهم .. بل لقد كان خالى الذهن تماما من أن له أخا فى هذه الدنيا . وثاب الى رشده بعد أن ظل الى ذلك الحين يتساءل عن الاسباب التى فرضت عليه هذا الكدح المرير ، حتى ضاق ذرعا بحاله .. فقال لنفسه :

ــ لماذا يجبروننى على أداء هــذا العمل الشــاق فى تواصل ؟ .. لماذا يضــيقون الحيز الذى يسمحون لى به ، ويحظرون على تخطيه لكى أرى ما يجرى فى العالم وما فيه من غرائب .. ترى ما هى جريرتى التى من أجلها فرض على كل هذا ؟! ..

واستبد به الضيق والتذمر ذات يوم ، فوقف منتصبا وقال بصوت مرتفع غاضب :

ــ كلا ... لن أستمر على تلك الحال ...

ثم راح يصب جام غضبه ، ويلعن حفرة الطبــاشير فى صوت كالرعد

ومنذ ذلك الوقت أخذ يعلن عما يجيش بنفسه من

غضب وتذمر بطريقة ايجابية فعالة ، ولم يكتف بالكلام والاحتجاج لان الالفاظ كانت لا تسعفه .. ورفع عربة محملة بالطباشير بيديه القويتين وقذف بها عربة أخرى ، فتهشمت العربتان وتحطمتا .. ثم ألقى بعدد من العربات فى حفرة ، وأخذ يقذفها بالصخور الضخمة حتى أتى عليها .. وكذلك اقتلع ما يقرب من عشرة أمتار من القضبان الحديدية ، وبالجملة راح يحطم محجر الطباشير برمته ، وهو راض عما يفعل مرتاح اليه ، وقال :

ــ أهكذا كتب على أن أنفق عمرى فى هذا الكدح المرير ؟ ! ..

واستمر فى ثورته تلك بضع دقائق يحطم كل ما تقع عليه عينه ، مما أذهل عالم الجيولوجيا ــ وهو من الصغار ــ والذى كاد يقع صريع صخرتين كبيرتين كان قد انتزعهما « كادلز » .. فهرول المسكين الى الخارج ناجيا بنفسه ، يتعثر فى السير وهو يحمل حقيبته التى راح يتساقط منها بعض حفريات أبحاثه . وبعد أن ارتاح « كادلز » الى ما فعله ، خرج الى العالم هائما على وجهه ليلقى ما تكتبه له المقادير ، وهو يحدث نفسه :

ــ اكنت أظل هكذا حتى أقضى نحبى ؟! .. أهكذا هانت فى نظرهم تلك الروح المستقرة فى جسمى الجبار .. اننى لا أدرى ماذا يفعلون بذلك الطباشير .. كلا .. كلا .. لن أعمل بعد الآن ..

وسار « كادلز » واتخذ طريقه نحو لندن اما مصادفة واما بوحى اتجاه الطريق والخط الحديدى .. سار بخطى واسعة صاعدا فوق التلال أو هابطا منها ، ومخترقا الوديان والمراعى . وكان اليوم قائظا ، فكان هذا مبعث دهشة لكل من رآه . ووجد فى طريقه اعلانات على

الحوائط ، لم يدرك أنها بشأن المعركة الانتخابية التي كان من نتيجتها أن تولى « كترهام » ـ عدو الجبابرة والمحرض الاول على افنائهم والقضـاء عليهم ـ زمام الحـكم

وكذلك وجد « كادلز » لافتات بالطرق تحمل تعليمات « كترهام » التي يحظر فيها على كل شخص يزيد طول هامته على سبعة أقدام ان يتجاوز فى تنقله مقدار خمسة أميال من محل اقامته الا باذن خاص ، كما رأى رجال الشرطة يتبعونه ويحاولون عبثا اللحاق به .. وقد راحوا يلوحون له بشيء يشبه الورق فى أيديهم ، فلم يهتم بكل هذا .. لقد خرج هذا المارد من حيز دنياه الضـيق المحدود ليستطلع ما فى العالم الواسع ، وقرر فى نفسه أن يقاوم أولئك الذين يتبعونه .. وحين وصل الى مكان رأى فيه بيوتا متناثرة ، تباطأ فى سيره ، وراح يتأمل ما حوله وهو يلوح فى الهواء بساطور كبير يحمله !

وكان قد تناهى الى سكان العاصمة بعض أنباء «كادلز» وعرفوا أنه شخص خفيف الظل يتسم بالغباء ، وأنه كان لوكيلة السيدة « وندرشوت » والقسيس شأن معـه ، وأنه كان يحفظ لهما اهتمامهما بأمره ، ويحمل لهما فى نفسه كل تقدير وتبجيل .. فلما طلعت عليهم الصحف بنبأ عصيانه عن العمل ، جال بذهنهم أن فى الامر تدبيرا مبيتـا ، واخذ المسافرون ـ الذين عادوا ـ يتناقشون فى الامر .. فمن قائل أن الجبابرة يجسون النبض ليعرفوا مدى قوة القوم الصغار ، الى قائل بأن « كترهام » خير حام لهم من هذا الخطر ، وان كان تصرف الجبابرة يعتبر خرقا للقوانين وتحديا لتعليمات « كترهام » .. وراحت

ألسنة الناس تتناول تلك الانبـاء والتعليق عليها ، كل حسب وجهة نظره

ونشرت الصحيفة الرسمية فى صفحتها الاولى وبالخط العريض خبر « القضاء على الشر » .. كما نشرت بعض الصحف انباء « ردوود » وانه لا يزال يلتقى بالاميرة ، وذلك بقصد اثارة الرأى العام ، كما عمدت بعض الصحف الى التهويل بأن الجبابرة بدءوا زحفهم على المدن يتهددونها

وبين هذا اللغط وأحاديث الناس وأقاويلهم ، وماتنشره الصحف ، وصل « كادلز » الى لندن ..

***

وفى استطاعة المرء أن يتمثل « كادلز » سائرا فى الطريق بوجهه المضطرب الذى تلفحه الشمس بوهجها ، والطريق زاخرة بالعربات على اختلاف انواعها ، وبالسيارات ، وقاطرات الترام والدراجات ، كما انها زاخرة بالجماهير الراجلة من نساء ورجال وأطفال .. كل خرج ليقضى حاجة أو لغير قصد سوى المشى ، وجميعهم يتبعونه فى خطاه السريعة أينما ذهب . كما راح من فى المنازل يطلون عليه من نوافذهم ، وأخذ الصبية يجرون خلفه ويصرخون ، بينما وقف رجال الشرطة كأنهم تماثيل ثابتة فى أماكنها .. وكان عمال البناء ــ عند رؤيتهم له ــ يسقطون من الفزع ، فعم الهرج ، واختلطت الاصوات بين وعيد وسباب وسخط ولعنات ، و « كادلز » يحدق فيهم من فوق رءوسهم ..

واذ صار فى لندن ، أخذ يمشى فى بطء .. فقد عاقه عن سيره العادى التفاف القوم الصغار حوله . وبعد فترة

قصيرة ، بلغت حشود الناس من حوله حدا لم يستطع معه ان يتقدم خطوة واحدة ، فوقف واستند بظهره الى جدار أحد المصانع ، يعلوه برج فى ضعف طوله هو ، وأخذ يتأمل فى عجب أولئك الاقزام الذين التفوا من حوله .. ولا ريب أنه كان فى لحظته تلك يقارن بين ما يرى وبين ما مر به فى سالف أيامه التى عاشها بين الفلوات والوديان والتلال والعشاق الذين يتناجون فى ليلهم وترنيم الكنائس وقطع الطباشير . وتواردت هذه الخواطر مجتمعة بذهنه واصطدمت بغرائزه ، واستشعر خطر الموت الذى يتهدده ، وصفاء السماء وجمالها من فوقه ، وحاول أن يجمع شتات أفكاره ليكون صورة واضحة المعالم ذات مغزى .. وضم حاجبيه فى تقطيب ، ثم هرش رأسه بأظافره ، وند عن نفسه زفرة شديدة أتبعها بأنين قوى كأنه صراخ ، ثم قال :

ــ لماذا أنتم هنا ؟ .. وماذا تفعلون انتم ايها الصغار بينما انا اكاد اهلك فى تقطيع الطباشير لكم ؟! ...

وعقد الذهول ألسنة الناس لسماع صوته ، وران عليهم صمت كصمت القبور ، وما هى الا لحظة حتى انفجر القوم صاخبين صارخين ، وهتف أحدهم قائلا :

ــ انه يتحدث .. هل سمعتم ؟! ..

وكانوا يتوقون الى فهم ما يقوله هذا المارد العجيب ، وظنوا أنه مخمور فراح بعضهم يسخر منه .. وتصدى له رجل أمريكى كان يترنح من تأثير الخمر ، فأخذ يدفع الناس من حول المارد ثم قال :

ــ ماذا تريد يا هذا ؟! ...

وخاطبه رجل آخر طالبا اليه أن يعود الى داره ،

ونعته بالجبن والبلاهة .. وذكر له أن الخيل اجفلت من رؤيته ، واخيرا صرخ فيه قائلا :

ــ اليس فى هذا الحشد الذى حـــــولك ما يجعلك تدرك ما يجب عليك أن تفعله ؟! ...

حدث كل ذلك بينما ظل « كادلز » فى وقفته تلك ، وقد لفه الاضطراب لهذه الضجة وهذا الصخب ، وراح يحدق فى الناس دون ان يتكلم ...

وفى هذه اللحظة ، حضر بعض رجال الشرطة وشـــقوا طريقهم بين الحشد المزدحم ، ثم قالوا :

ــ اتركوه وشأنه وتنحوا عن طريقه ...

ثم وجهوا الكلام لـ « كادلز » :

ــ معذرة .. نرجو أن تستأنف السير ..

وشعر « كادلز » برجل عجوز من الصـــغار يضرب قصبة ساقه ، كما رأى بعض الايدى تشير اليه ، فانحنى الى الامام وقال لهم :

ــ ماذا تقصدون بذلك ؟! ..

فقال له كبير رجال الشرطة :

ــ الوقوف هنا محظور عليك ... هل سمعت ؟ .. الوقوف هنا محظور عليك ! ..

فسأله « كادلز » :

ــ والى أين أذهب اذن ؟! ...

فقال له رجل الشرطة :

ــ عليك أن تعود من حيث اتيت .. الى قريتك .. الى البيت الذى تقيم فيه .. ومهما يكن من أمـــر فانه

يتحتم عليك أن تغادر هذا المكان لانك تسبب اخلالا في النظام وتعطل حركة المرور ..

ـ أى مرور تتحدث عنه ، وأى نظام تتشــــدق به ؟!

ـ المرور فى هذا الطريق الذى تقف فيه ..

ـ ولكنى اريد ان اعرف الى اين ينتهى هذا الطريق ؟.. وماذا يعنيه هذا الذى اراه ؟ .. لماذا يلتف الناس من حولى ، وماذا يبتغون منى ؟ . وماذا يضمرون لى ؟ . لقد أضنتنى العزلة وانهك تقطيع الطباشير قــواى من أجلكم ! .. ماذا تفعلون أنتم من اجلى ؟ .. اريد ان اعرف سبب كل ذلك قبل أن أخطو خطوة واحدة من مكانى هذا ؟! ..

ـ يؤسفنا أننا لا نملك الاجابة على أسئلتك هذه لانها ليست من صميم عملنا .. ان كل ما نطلبه هو أن تغادر المكان ! ..

ـ ألم تفهم ما سألتك عنه ؟ ..

ـ اكرر القول بأن عليك ألا تبقى هنا من فضلك .. ومن الخير لك أن تعود الى دارك .. لم تصل الينـــا تعليمات بشأنك حتى الآن ، ولكن وقوفك يتعارض مع القانون فضلا عن انه يخل بالنظام ويعطل المرور .. استأنف السير من فضلك ...

ورأى « كادلز » أن الرصيف قد أخلى من النـــاس ، وافسح له الطريق ، فسار فيه وهو يقول لنفسه :

ـ لعمرى لا أفقه شيئا من كل هذا !! ...

وتمنى لو أمكنه أن يستفسر من الجماهير التى حوله عن كل هذا الذى استغلق عليه فهمه ، ثم قال :

ـ لم يجل بذهنى قط أن هناك بلادا كهذه .. ماذا تصنعون هنا أيها القوم ؟ .. وما غايتكم ؟ .. ثم بماذا تكافئوننى جزاء كدحى وعملى ؟! ..

وسرعان ما ذاعت عباراته تلك ، وأخذ يتندر بهـا الشبان على سبيل الدعابة ، يسأل الواحد منهم صاحبه عن الغـاية التى من أجلها يعمل .. وتتعدد الاسـئلة ، ويتنوع التعليق ، وتختلف الاجابات ! ..

أول شهيد

كان هذا المارد يتوق الى غاية يضن عليه بها أولئـك الفاظ لا تكفى للافصاح او التعبير عما يجيش فى نفسه ، القوم الصغار ، هى الحياة الاجتمـاعية التى يريد أن يعيشها وفق هواه.. يتذوق حلاوتها حين يعرف الهدف منها ويحس مشاعرها . ولقـد ظل محروما من كل ذلك ، لم يمارس فى حياته سوى الطواف فى قريتـه ، لا يحدث احدا ولا يتحدث اليه احد .. وكل ما يعيـه من الـكلام فذهنه عاطل من كل شىء يتعلق بالمال والتجارة او الامور الاجتماعيـة .. وكان توآقا الى المعـرفة والالمام بشتى الشئون ، ولكن ليس فى مقدوره أن يحصل على ما تصبو اليه نفسه

وقضى نهـاره القائظ وليـله فى التجوال ، ولم يشعر بالتعب رغم الجوع الذى نال منه ، وراح يتأمل المارة فى غدوهم ورواحهم ويرقب اعمال الصغار

وفى فجر اليوم التـالى كان قد وصـل الى « ريجنت بارك » فاجتاز الاسوار وتمدد فوق بقعة خضراء ، وغلبه النعاس فنام ساعة أو بعض الساعة . وحين استيقظ ـ

وكانت الساعة السادسة صباحا ـ وجد نفسه قد اشتبك فى حديث مع امراة قذرة رثة الثياب ، كانت تفترش حفرة نامت فيها ، فسألها عما تهدف اليه من حياتها .. ولم يكد يفهم من حديثها شيئا !

***

ختم « كادلز » تجواله فى لندن فى صباح اليوم التالى، وكان قد نال منه الجوع حتى هد قواه .. وجذبت أنظاره عربة كانت تتزود بالخبز الطازج ، زكمت رائحته أنف المارد فركع على ركبتيه وراح يلتقطه من العربة .. ولمحه صاحبها ، فراح يشكوه لرجل الشرطة . وحين عاد كان « كادلز » قد أتى على كل ما فى العربة ،ثم اتجه الى حانوت والتهم كل ما به من خبز .. وقبل أن يفرغ من التهام ما بيده ، راح يبحث عن حانوت آخر حتى يتم وجبته ..

ورغم ارتفاع ثمن الطعام ، فان الجمهور راح ينظر بعين العطف الى « كادلز » الجبار فى الوقت الذى يحرمهم فيه من طعامهم ـ وهم فى أشد الحاجة اليه ـ وراحوا يضحكون ويصفقون له ، وهو ينظر مقطبا الى الشرطى ويهزأ به ، ثم قال وفمه محشو بالطعام :

ـ لقد نال منى الجوع ..

فهتف واحد من الجمع المحتشد حوله قائلا :

ـ كل ما طاب لك الاكل حتى تشبع ..!

ومنعه رجال الشرطة من اختطاف الخبز من الحانوت الثالث ، وضربوه على ساقيه ، ثم قال له أحدهم :

ـ هيا ايها المارد الظريف .. هيا لنعود بك الى بيتك .. !

وعبثا حاولوا القبض عليه رغم ما بذلوه من جهد ، ويروى أنه كانت معهم عربة فيها حبال وسلاسل ليقيدوه بها ، لعزوفهم عن قتله ، لان « كترهام » صرح بأنه ليس من المشتركين فى المؤامرة ، وانه ليس من العدل سفك دمه .. الا اذا لم تعد هناك حيلة ..

ولم يدرك « كادلز » غرضهم فى اول الامر ، بيد انه ما لبث أن فهم ما يرمون اليه .. فنصحهم بألا يذهبوا فى تصرفاتهم شططا ، ثم سار فى خطوات واسعة الى ان وصل الى غابة متاخمة ، فجلس فى حديقة خاصة ، وأخذ ينظف اسنانه مما علق بها .. فهاجمه بعض رجال الشرطة ، فصرخ فيهم أن يتركوه ، ثم سار فى البستان فأتلف ارضه وهدم جزءا من سوره ورجال الشرطة يتبعونه .. واصطدم بقدمه شرطى فوق جواده فوقع الجواد وراكبه

وهتف « كادلز » فى الجماهير ان يتركوه وشأنه ، وكان قد ألقى ساطوره فى الطريق .. فشعر بحاجته الى سلاح ، ويمم صوب فناء للبضائع وانتزع عمودا من أعمدة الاضاءة ، حمله على كتفه ثم واصل سيره مكفهر الوجه مكتئبا ، الى ان وصل ثانيا الى لندن ، مخترقا المقابر ... وجلس يلتمس بعض الراحة فى احدى الحدائق مستندا بظهره الى جدار أحد المنازل ، واساريره تنم عن غضبه ، وخشيه الناس فاختبئوا وراء الاشجار ، وأخذوا سيسترقون اليه النظر ، وراح هو يتحدث الى نفسه قائلا :

ـ لست أعلم ماذا يدفعهم الى مطاردتى ؟ ... لماذا لا يتركوننى وشأنى ؟ .. ألست بشرا ومن حقى أن آكل ؟! ..

ثم اخذ يجز على اسنانه فى غيظ ، وعاد يقول :

ـ اهكذا أكدح أنا واقطع لهم الطباشير .. وهم ينعمون ويسودون ويملكون .. ولا يسمحون لى بطعام أو مكان ؟ !

واستبد به الغضب حين رأى شرطيا يعتلى سور الحديقة ، فصرخ « كادلز » فيه قائلا :

ـ قف مكانك .. ودعنى لشأنى ! ..

ـ انه واجبى أؤديه ..

ـ قلت لك دعنى وشأنى .. ان لى الحق كل الحق فى ان أعيش مثلكم ، وأن آكل وأفكر ..

ـ انا أنفذ القانون .. ولسنا نحن واضعوه .. !

ـ ولست انا ايضا واضعه .. انه قانونكم ، تحظرون به على الطعام الا بالكدح كالعبيد الارقاء ، وتحرمونى من الراحة والمسكن ، ومن كل شيء مستطاب

ـ ليس هذا من عملى ، وليس لى أن أتناقش معك فيه

وفى هذه اللحظة ، برز من خلفه بعض زملائه من رجال الشرطة .. فأمسك « كادلز » بالعمود الضخم الذى معه متأهبا ، واكفهر وجهه ، وأشار بيده منذرا ومهددا ، وقال :

ـ ليس بينى وبينك ضغينة .. فاتركنى وشأنى ...

فهتف به الشرطى بحدة آمرا :

ـ عليك ان تعود الى بيتك .. والى محجر الطباشير حيث عملك ، والا اصابك أذى مستطير ..

فزمجر « كادلز » دون ان يلجأ الى العنف بيد انه رأى اربعة آخرين من رجال الشرطة يحملون البنادق ، وقفوا فى هدوء مصطنع ، مستندين الى الجدار بظهورهم ؛

فاستبد به الغيظ وتذكر ما سبق ان أصابه من رصاص البنادق، فقال لهم :

ـ أتعتزمون اطلاق الرصاص على ؟!..

فجال بذهن الشرطى انه خائف ، فقال له :

ـ اذا رفضت العودة الى محجر الطباشير ...

وفى لمح البصر كان الشرطى يلوذ بالفرار قفزا فوق السور ، فقد كان « كادلز » يطارده بالعمود ، ثم دوت طلقات البنادق وتطايرت أحجار السور ، وتناثرت معها أشياء تركت آثارا حمراء على يد واحد منهم ، واستعد رجال الشرطة لاستئناف اطلاق النار من جديد ، وأصابت رصاصتان « كادلز » ، اخترقتا جسمه ، فتلفت ليرى من ذا الذى أصابه فى ظهره تلك الاصابة المؤلمة ، وتوالت الطلقات ..

ودارت بخيال « كادلز » فى تلك اللحظة صور كل ما مر به من منازل وحدائق وأولئك الذين كانوا يطلون عليه من نوافذهم ـ فى شكل مهزوز مضطرب ـ وخطا بضع خطوات ، ورفع العمود ثم عاد فألقاه على الفور ، وراح يمسك صدره ويتحسسه وهو يتلوى من شدة الالم ..

وشعر بسائل ساخن على يديه ..

وشاهد هذا المنظر شخص كان يطل من نافذة منزله .. رأى « كادلز » يحملق فى الفضاء ، فاغرا فاه ، مقطب الجبين ، يبكى من شدة الالم ويداه غارقتان فى الدماء .. وفى لحظة خارت ركبتاه وانثنتا ، وسقط على الارض جثة هامدة ، فكان أول شهيد من الجبابرة ..

سـجين في بيتـه

أمر «كترهام» رجاله بالقبض على « ردوود » ، ووجد الرجال حين ذهبوا اليه أن عملية جراحية أجريت له فى جنبه ، وأن الاطباء اشاروا بأن يكون بمنأى عن كل ما يثيره .. وكان قد غادر الفراش حين أتوا اليه ، واخذ يقرأ انباء الاضطرابات ، وأنباء ابنه والاميره وما يتعرضان له من أخطار .. وكان ذلك فى صـبيحة يوم مصرع « كادلز » وأحس ان شبح الموت يقترب . وتطلع فى قلق واضطراب الى رجال الشرطة حين دخلوا عليه . واستقر رأى الرجال على أن يمهلوه يومين قبل نقله حتى لايصيبه أذى ، واكتفوا بالتحفظ عليه فى بيته ، ثم أجروا تفتيشا وأخذوا أوراقه الهامة رغم اعتراضه واحتجاجه ، فقـال لهم :

ـ لايهمنى الآن أمر الغذاء السحرى .. اريد انأطمئن على ابنى ..

بيد أن رجل الشرطة لم يخبره بشىء عنـه ، وحاول « ردوود » معالجة فتح الباب دون أن يدرى أن صلته بالعالم الخارجى قد انقطعت .. فأفهمه الشرطى انهعبثا يحاول ذلك . فعمد الى الجرس يضغطه فى الحاح ممـا أزعج رجال الشرطة ، فحضر اليه كبيرهم وطلب اليـه أن يكف عن ذلك والا فلن يلبى أحد طلبا له اذا كان فى حاجة الى شىء ، ثم افهمه أنهم على استعداد لتلبية طلباته المعقولة وانه لا داعى لازعاجهم والاحتجاج بهذه الطريقة، ثم سمعه رجل الشرطة يقول :

ـ بوسعكم أيها الرجال أن تصارحونى ، هل ابنى ..؟

***

لم يجد « ردوود » أمامه سوى النوافذ يلوذ بها ،فراح

يقضى معظم اليوم يتطلع منها .. بيد أن ذلك لم يحمل اليه ولا ريب أى أنباء عن أحداث الخارج ، فقد كان الهدوء الشامل يحيط بالبيت وما حوله . وكل ما رآه ، كان عددا قليلا من الرجال يمرون بين الحين والحين ، لا تنم أساريرهم على أنهم يعلمون شيئا عما يجرى ، أو بعض الاطفال أو امرأة خرجت لتشترى شيئا ، وكانوا ينظرون الى البيت المحاصر برجال الشرطة فى دهشة ، ويحملقون ويتساءلون

وأطلت خادمة من نافذة فى البيت المواجه لبيت « ردوود » .. فأشار اليها بيده ، فردت على اشارته ردا لم يفهمه ثم اختفت ، كما خرج رجل من البيت التالى ولكنه سار فى طريقه دون أن يلقى بالا الى ما حوله ..

وانقضى الصباح وأقبل الظهر ، فسمع « ردوود» باعة الصحف يهرولون وينادون .. بيد أنهم سرعان ماابتعدوا دون أن يمروا بالشارع الذى فيه بيت « ردوود » على خلاف عادتهم ، وبدا له أن رجال الشرطة هم الذين أمروا بذلك وسدوا منافذ الشارع .. وأراد فتح النافذة ، فحضر اليه شرطى على الفور

ولعل النعاس قد غلبه فارتمى على مقعد أدناه من النافذة وأخذته سنة من النوم ، ثم استيقظ على حركة شديدة عن بعد لا يعلم كنهها ورأى النافذة تهتز كأنما من تأثير زلزال ، وسكنت الحركة قليلا ثم عادت ، وجال بذهنه أنها من تأثير عربة كبيرة محملة بالاثقال . وقفز الى ذهنه فجأة أنهم ربما يلقون القبض على الجبابرة جميعا فى وقت واحد ، كما كانوا يذكرون فى دعاياتهم الانتخابية ..

وأغلب الظن أنهم ألقوا القبض على « كوسار » .. وان كان « ردوود » يعلم مدى تمسك « كترهام » بأهداب

الدين ، ولكن شعور « ردوود » الباطن كان يوحى اليه بشىء رهيب ، وطالما حاول أن يبعد عن نفسه هذا الشعور ولكنه لا يلبث ان يعاوده .. شعور بأن مذبحة توشك أن تحدث .. مذبحة رهيبة وحشية ، ولكنه انكر أن يقدم « كترهام » على ذلك وهو الرجل المتدين المتمدين ، واستبد به التفكير فصاح :

ـ لا يمكن أن يكون .. ان الانسان لا يفقد صوابه الى هذا الحد .. ماذا يغنمون أو يفيدون من قتل الجبابرة الآدميين ، وقد غلبوا على أمرهم فى الجبابرة من الكائنات الاخرى ؟ .. لن أسمح لنفسى بالتفكير فى ذلك اطلاقا ..

وفجأة لفه الاضطراب فقد شعر بالنوافذ تهتز فى عنف ، واطل من احداها يستطلع الامر ، فوضح له ما تناهى الى سمعه .. اذ رأى امرأة فى المنزل المواجه لبيته ، ورأى رجلا فى المنزل الذى يليه وكلاهما يحدق فى الشارع فى ذعر وذهول ليتبينا حقيقة ما يجرى ، ثم رأى الشرطى الواقف بالشارع قد لاح عليه انه سمع هو الآخر ذلك الصوت .. اذن لم يكن وهما أو خيالا هذا الذى تناهى الى سمعه ، وعاد الى داخل الحجرة ثم قال :

ـ أهى مدافع اذن ؟! ..

وجاءوا له بالشاى المركز الذى تعود أن يحتسيه . وعرف أنهم استقوا بعض المعلومات عنه من السيدة التى يقيم عندها .. وانتهى من احتساء الشاى ، ولكن حدة اضطرابه حالت بينه وبين الجلوس الى النافذة ، فراح يذرع الحجرة غدوا ورواحا ، وقد ساعده ذلك على أن يفكر تفكيرا رزينا ..

ولمح الصور المعلقة على الحائط ، واستلفتت نظره

صورة ابنه فاتجه اليها .. وأعادت هذه الصورة الى مخيلته ذكريات كان قد نسيها .. ذكريات الايام الاولى للفداء السحرى .. و « بنزنجتون » ومخاوفه .. وابنة عمه «جين» .. و «كوسار» .. وتلك الليلة الليلاء التى قضاها بالمزرعة .. تراءت له كل هذه الذكريات فى صورة واضحة ، كأن الاعوام التى مضت عليها لم تستطع أن تطمس معالمها .. ثم تذكر طفولة الجبابرة والمخدع الكبير الذى كان قد أعده لابنه .. وكذلك تذكر المرة الاولى التى شعر فيها بعاطفة الحب الابوى ..

ولفه شعور طاغ ، لم يستطع له دفعا ، بأنه آمن يحيط به هذا السكون الرهيب وهذا الصمت العجيب ، بينما ابنه الحبيب وأبناء « كوسار » الاعزاء ، وكل هذا الثمر الطيب الذى هو طليعة العهد الزاهر المقبل ، يناضلون فى تلك الساعة ، ويقاتلون دفاعا عن حياتهم وفقا لقانون تنازع البقاء .. وربما كان ابنه فى هذه اللحظة فى مأزق تحيط به الاخطار ، أو جريحا مغلوبا على أمره ..

ونحى « ردوود » هذه الفكرة عن ذهنه ، وأبعدها عن خاطره ، وراح يذرع الغرفة ويلوح بيديه وقد توترت أعصابه ، ثم صاح :

ـ كلا .. لا يمكن أن يكون هذا .. لا يمكن أن يكون هذا مطلقا .. آه .. ماذا أسمع ؟! ..

وتسمر فى مكانه ، كأنما أصاب أوصاله شلل .. فقد عادت النوافذ تهتز فى عنف هائل ، ثم سمع دكة ارتجت لها جدران البيت وراح فى دوامة .. وقد ظن انهم يدكون البيت على من فيه وما فيه ، فقد رأى زجاج النوافذ يتساقط ويتناثر ، فأصابته صدمة شديدة ، بيد أن السكون ما لبث أن عاد ، وتبين أن أقداما تعدو فى الشارع ..

ونبهه ذلك من ذهوله فاتجه الى النـــافذة ورأى زجاجها الذى تهشم معظمه .. وتتابعت دقات قلبه ، وأوحى اليه الشعور الباطن بأن أحداثا جساما توشك أن تفك اساره وتنقذه .. بيد أن شعوره بضعفه وبوطــأة القيود القائمة عليه جعلته فى حيرة وذهول من أمره ..

ولم يستطع أن يرى شيئا فى الخارج لان المصبـــاح المواجه للنافذة كان مطفأ ، كما لم يستطع أن يسمع شيئا بعد ذلك الصوت المدوى الذى هلع له قلبه . ولاح له وميض أحمر مضطرب فى قبة السماء من ناحية الجنوب الشرقى ، وأخذ ضوء هذا الوميض يقوى ثم يضـــعف ، ويظهر ثم يختفى فى الظلام ، فكان هذا شـــاغله فى ليله الطويل الرهيب .. ليل الانتظار ، وخيل اليه أنه لهب يتراقص الى أن اختفى على ضوء القمر .. فتساءل عما عساه أن يكون ؟ .. لعله نار قريبة أو بعيدة ، ولم يتبين ما اذا كانت تلك التى مرت فوقه سحابة أو دخانا. ولاحت له بعد منتصف الليل أضواء كاشفة قوية دامت طــوال تلك الليلة الرهيبة .. وتساءل أيضا عما عســاها أن تكون ، وأوحت تلك الرؤى المضطربة الى عقله أن انفجارا ما قد حدث ، فتضاعف اضطرابه واشتد قلقه ..

ولم يفكر فى اضاءة حجرته ، ولاذ بالنـــافذة فوقف أمامها معرضا نفسه لتيار الهواء ، فرآه الشرطى وطلب اليه أن ينام ليستريح .. وهكذا قضى ليلته أمام النافذة شاخصا الى السماء ببصره كأنه يريد أن يستشف من وراء حجبها مجريات الاحداث ، وكانت قواه قد انهارت عنــد الفجر فتهالك على السرير الصغير الذى أعــدوه له الى جوار الموقد ..

وهكذا ظل « ردوود » ثلاثة ايام فى عزلة عن العالم سجينا فى بيته لا يدرى شيئا عن المأســـاة الرهيبة التى استمرت يومين ، راح الصغار يقاتلون فيها هذه الطليعه من الجبابرة العظام ·· فلما رفع عنه الحصار فجأة كما فرض عليه فجأة ، وجد نفسه عن كثب من ميدان النضال· وما أن سمع صوت عربة تقف على باب بيته حتى أقبل الى النافذة يستطلع الامر ، فرأى شابا صغيرا يهبط منها ·· وبعد لحظة كان الشاب ماثلا امامه فى الحجرة ، وكان أنيق الثياب يبـــدو أنه على جانب من الادب والدماثة ، وابتدره الشاب قائلا :

ـ هل يسمح سيدى مستر « ردوود » بمقابلة مستر « كترهام » ·· فانه يود أن تلقاه على عجل ··

ـ وماذا فعل بابنى ؟ ··

ـ انه فى طريقه الى التحسن ·· هذا ما يمكن التكهن به الآن ··

ـ ماذا تقول ؟ ·· فى طريقه الى التحسن ! ··

ـ ألم يبلغك أنه جرح بالامس يا سيدى ؟

ولم يصدق « ردوود » ذلك ، كما لم يطق الســكوت فقال فى غضب :

ـ انك تعلم جيدا أنه لم يصل الى علمى شىء من هذا ..

ـ ان مستر « كترهام » نفسه كان يتوقع المتاعب ·· لقد عمت الثورة وشاع الاضطراب ، وكان ذلك مباغتة لنا ·· ولقد حوصرت ياسيدى حتى لا يقع عليك اعتداء ··

ـ بل بقصد الحيلولة ، بينى وبين تحذير ابنى واسداء النصح اليه ·· اخبرنى بصراحة ·· ماذا حدث ؟ ·· هل قتلتموهم ؟

وسار الشاب بضع خطوات ثم قال فى ايجاز :

ـ لا يا سيدى ..

ـ أفصح بالله عليك ..

ـ لم نكن نحن البادئين يا سيدى ، ولم نبيت النية له .. بل بوغتنا على غير استعداد من جانبنا ، ونشب قتال عنيف أتى على كل شىء .. نتيجة سوء فهم ذريع، فقتل عدد من الجبابرة ..

ـ هل لا يزال القتال دائرا ؟

ـ كلا يا سيدى .. تقدم « كترهام » بطلب الهدنة ، وبعث رسولا لهذا الغرض بعد أن أدرك الدافع وهو سوء الفهم .. وهو لهذا يرجو أن تلقاه ليوضح لك وجهة نظره، فانهم يرون ضرورة تدخلك فى النزاع .. !

ـ ماذا حدث لابنى بالضبط ؟ ..

ـ قلت لك انه جرح .. جاء ومعه الاميرة قبـل اتمام الحصار الذى أريد اقامته على مقر أبناء « كوسار » .. جاءا فجأة واندفعا الى اجمة قريبة من النهر ، ثم هاجما كتيبة من الفرسـان الذين فزعوا لانهم كانوا فى حـالة شديدة من توتر الاعصاب ..

ـ وهل أطلقوا عليه بنادقهم ؟ ..

ـ كلا .. لان الجند فروا .. ولكن بعضهم دفعهم الهلع فأطلقوا الرصاص مخالفين الاوامر التى قضت بعدم ضرب النار من أجل الاميرة ..

ـ هذا معقول ..

ـ واندفع ابنك نحو مقر أبناء « كوسار » .. وجـرى الجند ودوت الطلقات ، وقال شاهد عيان انه رآه يترنح..

ـ رباه .. !

ـ ولكن جرحه سطحى يا سيدى .. فقد بعث برسالة معنونة باسمك يذكر فيها أنه يتقدم حثيثا نحو الشفاء

ـ وماذا كان مصير الجبابرة الآخرين ؟

ـ هلك منهم ثلاثون يا سيدى .. عدا من جرحوا ..

ـ وبعد كل هذا يطلب « كترهام » أن ألقاه ؟ ! ..

ـ لقد لاذ بعضهم ببيوتهم أثناء النضـــال .. اذ يبدو أنهم عرفوا ..

ـ طبعا .. ولولا « كوسار » .. هل هو هناك ؟

ـ أجل وجميع الاحيـــاء منهم .. توجهوا أو هم فى طريقهم الآن الى بيوتهم ، تؤمنهم الهدنة ..

ـ هل أفهم أنكم منيتم بالهزيمة ؟

ـ كلا يا سيدى .. لقد خالف الجبابرة نظم الحروب وقوانينها ، فقد هاجمونا بعد أن توقفنا عن القتال ..
هذا بالاضافة الى انهم بدءوا يلقون قنابلهم على لنـدن بعد ظهر اليوم ..

ـ انهم جد معذورون ومعهم كل الحق ..

ـ ان قنابلهم تحمل السم .. فانها محشوة به ..

ـ بالسم ؟ ! .. أتعنى ما تقول ؟ ..

ـ أجل .. بالغذاء السحرى .. أليس هو السم ؟ !..

ـ اذن فهزيمتكم محققة لا ريب فيها .. هذا من تدبير « كوسار » .. لقد أفلت الزمام من يدكم، وستستنشقون ـولا حيلة لكم فى ذلك ـ غبار هذا الغذاء الذى سينتشر فى الهواء دون أن تستطيعوا له دفعا .. فما جدوى القتال بعد ذلك؟

•• ان « كترهام » يغرر بى لكى أعاونه حتى يساومهم •• لقد لطخ يديه بدم الابرياء ، ونشر الفتنة والدمار •• فماذا يدفعنى الى مؤازرته ؟ ! ••

ــ لا اكتم عنك يا سيدى أن الجبابرة يلحون فى أن توافيهم •• ويقولون فى اصرار أنهم لا يقبلون وسيطا سواك .. ان تخلفك قد يتسبب فى تجدد القتال وسفك الدماء ••

ــ أتخشون سفك دمائكم ؟ !

ــ بل سفك دماء الطرفين •• والرأى العام يلح فى ضرورة الاسراع بوضع حد لهذه المأساة ••

ودار « ردوود » ببصره فى أرجاء الحجرة ، واستقرت عيناه على صورة ابنه المعلقة على الحائط ، فراح يتملاها برهة من الوقت •• ثم استدار الى الشاب الذى وقف ينتظر الرد الذى ينطق به « ردوود » وأخيرا قال :

ــ اننى سأوافيهم ••

***

واجتمع « ردوود » ب « كترهام » اجتماعا لم يكن يتوقعه ، وعندما رآه أدرك أنه يتمتع بجاذبية شخصية ، لعلها هى التى مكنته من شق طريقه فى الحياة حتى بلغ الذروة

وذار بينهما الحديث ، وسيطر « كترهام » على زمامه ، مستعينا بأسلوبه الخاص الذى رسم به خيوطه وخطوطه، جاعلا نصب عينيه البحث عن أنجح الوسائل لتفادى استفحال الخطر

وشعر « ردوود » خلال الحديث أنه لم يحضر ليتبادل مع محدثه وجهات النظر ، اذ راح « كترهام » يستأثر

بالجانب الاعظم من الحديث حتى صار « ردوود » شبه متفرج .. وأدرك فى النهاية أنه أمام عقل كبير ولكنه ضيق الافق ، اذ اتضح له أنه لم يكن ليهتم بالهزيمة أو حتى بالموت قدر اهتمامه بما عسى أن تتمخض عنه الاحداث الجارية من أثر فى مركزه ، وفى الغالبية المؤيدة له .. هذا أهم أمر يشغل باله .. ان أمامه طريقين لا ثالث لهما ، فاما ان ينتصر على الجبابرة ، واما ان يسقط هو من ذروة المجد ويهوى نجمه بعد تألق .. !

واتضح ل « ردوود » أن « كترهام » لا يتورع عن تزييف الاصوات اذا استطاع ذلك ، لكى يحفظ لنفسه المركز الذى وصل اليه ..

ولم يفقد « كترهام » الامل ، وان راح ينحى على نفسه باللائمة لما أوصله اليه سوء تصرفه من أزهاق أرواح وهلاك حرث وفتح ثغرة لحرب مقبلة لا هوادة فيها ، قد تقضى على كل حضارة وكل مدنية بل يتأرجح بها مصير العالم ، بيد أنه كان يعتمد على صوته المجلجل الرنان وقدرته على الاقناع عند تفسير الامور وفق هواه ، للاحتفاظ بمركزه

الفصل العاشر :

جيل جديد !



جيل جديد

كان على « ردوود » أن يعى كل كلمة تقال لما سيكون لها من الاهمية عند نقلها الى الجبابرة .. اقترح «كترهام» أن يلقى هؤلاء أسلحتهم ويستسلموا ، وأن يكونوا جبهة قائمة بنفسها ، وأن فى وسعه أن يفرد لهم مقاطعة لهذا الغرض فذلك من السهولة بمكان ، على أن تكون السلطة بيد الهيئة الحاكمة دون أن تشمل الجبابرة ومستقرهم، وأن يقضى على الغذاء قضاء تاما ، وسأله « ردوود » :

ــ وماذا يكون عليه موقف الاميرة ؟

ــ ان لها اعتبارا خاصا لا شأن لغيرها فيه ..

واعترض « ردوود » على ذلك ، فأشار « كترهام » بتأجيل بحث هذه النقطة ما دام الاتفاق قد تم على عدم انتاج الغذاء ، فقال له «ردوود » انه لم يوافق على شىء، وتساءل «كترهام» كيف يعيش نوعان من الخلائق صغير وكبير فى وقت واحد ، وماذا يتمخض عنه هذا الغذاء فى المستقبل ؟ ورفض « ردوود » أن يشتبك معه فى جدل قائلا انه يجب عليه أن يرجع الى الجبابرة ، وطلب ايضاح طلباته ، فقال « كترهام » :

ــ سيكون لهم اقليم كبير مستقل فى ربوع امريكا أو أفريقيا يعيشون فيه ويمرحون كيفما يطيب لهم ذلك .. فيفيدون ويستفيدون ..

ــ ولكن هناك جبابرة منتشرون فى أوربا !..

ـ يمكن التغلب على ذلك بميثاق دولى .. وقدجرت محادثات فعلا بهذا الصدد .. بيد انى أشترط الا ينجبوا أطفالا حتى ننقذ العالم من ثمار هذا الغذاء .. اننــا نحرق الآن الاماكن التى سقطت فيها قنابلهم ، ويجب أن تحملهم على قبول شروطنا .. والا فلا مفر من القتــال فاننا لا نقبل أن تتلف أقدامهم الضخمة أرضنا ... ولا يغيبن عن الذهن أن من خلفنا شعبا بأكمله مستعــد للنضال .. اننا نحن الذين بدأنا بالهدنة حقنا للدماء .. ولكن بوسعنا أن نقضى عليهم ، وان ما أعرضه الآن يحفظ الارواح جميعها ، أرواحهم وأرواحنا .. هل فى مقــدور فئة قليلة أن تقهر شعبا بأسره ، يعضده ولاشك كثير من الشعوب الاخرى .. هل تريدون أن تقلبواميزان البشرية بهذا الغذاء ؟ .. اذهب اليهم يا سيــدى لتراهم وترى جرحاهم ..

ثم أشاح « كترهام » بوجهه وضغط على زر ، فسمع على الاثر وقع أقدام تقبل وصرير أبواب تفتح ..

***

استقل « ردوود » السيارة التى اعدت له ، وكانت الحشائش الضخمة ونبات القراص تكتنف الطريق من الجانبين ، ووصل السائق الى قمة التل وأشار بيــده الى شيء أسود ، ورأى « ردوود » السور الهائل يعلوه ضوء وهاج وأنوار كشافة تضيء ما يحيط بها ، ويظهران السائق كان يخشى أن يتقدم فى السير خطوة واحدة بعد ذلك .. والتمع فى قبة السماء ضوء ساطع استقرعليهما وغشى ابصارهما فوضعا أيديهما على أعينهما .. ثم مرق السائق بسيارته وصوت بوقها يشق سكون الليل ، ولا يدرى أحد ماذا دفع السائق الى هذه السرعةالجنونية..

ووجدا طريقا معتما يقوم عليه سور ، فاطمأنا الى السير فيه ، وهبطت بهما السيارة الى احدى الوهاد تقوم على جانبيها بيوت متناثرة ، ثم خرجا الى طريق مكشوف.. ومن جديد اخذت تخيط بهما النباتات الضخمة ، وفجأة وقعت عيونهما على واحد من الجبابرة ظهر فى وضوح جين وقع عليه الضوء الساطع ، صاح بهما :

ــ قفا ولا تتخطيا هذا المكان .. آه .. الاب « ردوود » ! ..

فتوقفت العربة عن التقدم ، وقد عقدت الدهشة لسانه ، واجاب بغمغمة مبهمة .. لمح بعدها « كوسار» فى الطريق الى جانبه ، يعينه على النزول من العربة ، وبادره « ردوود » بقوله :

ــ ماذا حدث لابنى ؟ ..

ــ انه فى خير حال .. لم تكن اصابته خطيرة ..

ــ وكيف حال ابنائك ؟ ..

ــ جميعهم على احسن حال .. لقد بذلنا جهودا عنيفة لننجيهم ..

وتحدث الجبار الى السائق ، ثم دارت السيارة واختفى «كوسار» فجأة ولف الظلام «ردوود» لان الضوء راح ينير الطريق للسيارة فى صعودها التل ، واخذ « ردوود » يرقبها لحظة ، ثم استدار فوجد « كوسار » الى جانبه ، فأمسكه من يده وقال له :

ــ لقد حاصروا بيتى وحبسونى فيه ولم يسمحوا لى بالصحف مدة يومين !

ــ ونحن اطلقنا عليهم الغذاء السحرى فى قنابل القينا منها عليهم ثلاثين واحدة !

ـ واين ابنى ؟ .. أريد ان أطمئن عليه ؟ ..

ـ انه فى خير حال .. والجبـــــابرة كلهم ينتظرون رسالتك ..

وسار مع « كوسار » فى نفق طويل منحدر أضىء لحظة لينير لهما الطريق ، حتى وصلا الى الحفرة التى اتخذها الجبابرة مقرا لهم وقد تراءت لـ «ردوود » كأنها ميدان فسيح تحيط به الصخور ، وتناثرت على ارضه أشــياء متنوعة ، وتنعكس عليه بين الحين والحين انوار كشافة، وفى ركن منه ـ كان يضيئه وهج احمر ـ يعمل اثنان على أصوات المعادن ، وكذلك راى قواعد رجــح أنها جعلت للمدافع ، وبجانبها أجسام اسطوانية هائلة لعلها ذخائر، ورأى الآلات الضخمة فى كل مكان دون أن يدرك الغرض منها ، وراى الجبابرة يروحون ويغــدون ، ويظهـرون ويختفون بين تلك الآلات ، بعضهم مكب على العمـــل وبعضهم مستلق على الارض يلتمس الراحة والنوم، ورأى « كوسار » أحدهم مستغرقا فى النوم وهو ممـدد على محفة من اغصان الصنوبر وقد لف جسمه بالاربطـة . وراح « ردوود » يحدق فى اجسامهم ، وتتنقل عيناه من واحد الى آخر ، وأخيرا قال :

ـ أين ابنى يا «كوسار » ؟ ..

وفجأة وقعت عليه عينه .. كان جالسا فى ظل جدار هائل من الصلب ، ولم تكن ملامحه واضحة فى أول الامر وقد اعتمد ذقنه بيديه فى تفكير عميق .. والى جانبـه لمح الاميرة ، وراى وجهها الجميل على ضوء الوهج يفيض عطفا وهى لا ترفع عينيها عن حبيبها ، متكئة الى الجدار، وخيل اليه أنها تهمس فى اذن ابنه ، وأراد ان يتركهما ، فقال له « كوسار » :

ـ والآن حدثنا برسالتك ..

ثم سار « ردوود » و «كوسار» فى طريق منحدر ، تعلوهما آلات متشابكة ، ووصـــلا الى ممر كبير يخترق الحفرة ، فشعر « ردوود » بضآلة حجمـــــه .. ورأى الجبابرة بالممر يروحون ويغدون ، وقد ارتفعت أصواتهم هاتفين بطلب الاجتماع للاستماع الى الرسالة التى بعث بها « كترهام » والى شروطه ، ووصل به الممر الى مكان فسيح معتم فيه أشياء غامضة لا يعرفها، سارخلالهاشارد الذهن ، وأمسك « كوسار » بيد صديقه بسبب العتمة فقال « ردوود » :

ـ اننى أرى عجبا .. رغم انى سبب من أسباب وجود هذا الذى أرى ! ...

ـ انها الضخامة يا صديقى .. لقد وضعت أنا الاسس ثم أسلمت كل شيء لابنائى ..

***

وبعد ان اخترقا ممرات ملتوية وارتقيا درجات كثيرة، وصلا الى لسان صخرى بارز يطل على حفرة الجبابرة الذين اجتمعوا ليستمعوا الى الرسالة . ووقف الابن الاكبر على السور للحراسة خشية مفاجأتهم بهجوم ، وراح اثنـــان آخران يرقبان الالات فى عملها ، وكان الضوء القـــوى يسطع على أجسام الجبابرة فيكشفها للعيان ، وملابس البعض منهم من المعدن طبقات فوق بعضها بينما ملابس البعض الاخر من الجلد أو الحبال او المعادن المجدولة ، وكانوا فى وقوفهم وثباتهم جبابرة حتما ..

وهم « ردوود » أن يتكلم ولكنه لم يستطع ، وبدا له

وجه ابنه على وهج الضوء ورأى الحنان فى عينيه ، فارسل صوته مجلجلا :

ـ سألقى على مسامعكم الشروط التى كلفنى « كترهام» بحملها اليكم •• وانى اذ اراكم الان فى اجتماعكم هذا أرى أنه من المتعذر قبونها •• لقد قبلت القيام بهذه المهمة لكى أراكم وأرى ابنى •• نعم لاراكم وأرى ابنى •• !

فقال له « كوسار » :

ـ أفصح لهم عن الشروط ••

ـ يطلب « كترهام » أن ترحلوا عن البلاد ••

ـ الى اين ؟ ••

ـ لم يوضح المكان ولم يحدده .. انه يقول ان عليكم ان ترحلوا الى أى بقعة فى العالم •• بقعة فسيحة تتسع لكم ، وكذلك عليكم ان تمتنعوا عن صنع الغذاء السحرى، ومحظور عليكم انجاب أبناء ، ولكم بعد ذلك أن تعيشوا كيفما تشاءون •• هذا ما كلفنى بأن انقله اليكم ••

وران على المكان صمت كصمت القبور ، ثم شعر بيد تلمس ساعده .. وأتى اليه « كوسار » بشىء قال انه كرسى ، وجلس «زدوود » واضعا ساقا فوق أخرى وقد ضم قبضتيه فى عصبية وشعر بضآلته وحرج موقفه ، ثم سمع صوتا يقول :

ـ هل سمعتم أيها الاخوان ؟ •• بماذا تجيبون على طلبات « كترهام » التعسفية ؟ ••

ـ اننا نرفضها ولا نقبلها بحال من الاحوال ! ••

وعاد الصمت من جديد الى أن قطعه صوت يقول :

ـ انهم محقون على حسب وجهة نظرهم ... فمن

الطبيعى ان يناهضوا كل ما هو اضخم منهم من الكائنات الاخرى .. وفيما جاولوه من افنائنا والقضاء علينا .. وفى قولهم بأنه محظور علينا انجاب أطفال، لقد حان الوقت الذى يجب أن ندرك فيه أن وجود أقزام وجبابرة جنبا الى جنب أمر لا يمكن ان يقوم .. وكثيرا ما ردد «كترهام» بأن العالم لا يتسع لكلينا ، وانه اما لهم واما لنا ..

وقال آخر :

ــ اننا لا نزيد على الخمسين عدا .. بينما هم ملايين وملايين ..

ــ اننى ابصرتكم بالأمر الواقع وبالحقيقة ..

ــ وهل نموت نحن ؟ .. أو يموتون هم ؟ ..

ــ لا هــذا ولا ذاك .. ان «كترهام» يريد أن نحيا ثم نموت واحدا فى اثر واحد الى أن ننقرض .. ويستأصل هو وقومه جذور النبات الضخم، ويهلكون الكائنات الاخرى التى نمت ، ويحرقون الغــذاء السحرى فيقضون علينا وبذلك يعيشون هم وفق هواهم آمنين مطمئنين ..

وفى هذه اللحظة سقطت على الارض قطعة من الحديد هائلة فأحدث سقوطها صوتا أشبه بالرعد ، وعاد الصوت يقول :

ــ اننا ايها الاخوان ندرك ما يجب علينا أن نفعله

وابصر «ردوود» عيون الاخوان تتجه الى ابنه فى تلك اللحظة ..

ــ من السهل أن نصنع من الغــذاء السحرى ما يكفى العالم اجمع.. وهذا ما سنفعله.. لقد صمدنا وسنستمر على صــمودنا .. لا نفكر فيمن ماتوا .. بل نفكر فيمن سيولدون ..

وقال «ردوود» الصغير :

ــ ليس أمامنا الا النضـــال ، فاذا ما قهرناهم فرضنا عليهم الغذاء .. انهم يتناولونه الآن رغم أنوفهم.. ونحن اذا اذعنا لحماقات «كترهام» وتنكرنا لفضل آبائنا علينا، وتغاضينا عما يعتمل بين جوانحنا وفى أعماقنا فماذا يكون مآلنا .. ان بوســعهم أن يقاتلوا عظمتنا ، ولــكن ليس بوسعهم أن يقضوا عليها حتى ولو أفنونا عن آخرنا ... لأنها لم تعد محصورة فى أشخاصنا ولا فى الغذاء .. بل لانها غاية كامنة فى الطبيعة وفى الزمن .. سينمو كل كائن، هذا ناموس الحياة والنماء المتواصل ..!

ــ انهم سيقاتلوننا وسيبذلون كل ما فى طاقتهم للقضاء علينا ...

فقال واحد منهم :

ــ اننا لا نخشى شيئا ..

فقال « ردوود » الصغير :

ــ لا ريب فى انهم سيقاتلوننا فى حالة رفضنا لشروطهم .. بل انني لاتمنى ان يكشفوا عن ذلك ويبدءوا الحرب .. انهم يخدعوننا بهذه الهدنة المصطنعة ليأخذونا على غرة.. فخذوا حذركم ، لا بد مما ليس منه بد !. قد يأتى وقت تصنع لهم فيه اسلحة أمضى مما لديهم ، يقتلون بها ابناءنا .. اننـــا على عتبـــة الطريق .. ان امامنـــا صراعا عنيفا سيستشهد بعضنا فيه ، ولن نسلم من غدرهم ، والنصر يتطلب مضاعفة الجهود .. وعلينا ان نعمـــل لمستقبلنـــا ولذريتنا ، فنعمر العالم بالغذاء ونشبعه .. ولنتمسك به فهو شرطنا الاول .. لا يمكن ان يسود وئام او صفاء بين جبابرة واقزام .. فليكن الجميع جبابرة ..أى هراء ذلك

الذى ينادى به الاب حين يقول « يجب ان يكون ابنى كما كنت أنا » .. الستم على هـذا الراى الذى ابديته ايها الاخوان ؟..

وأمن الجميع على قوله ، ثم قال واحد منهم :

ـ بل هـو راى نسلنا الذى سـيولد .. من اطفـال يصبحون رجالا ونساء .. أولئك الذين سيكونون جيـلا جديدا ..

وقال « ردوود » وقد اتجه بنظره الى ابنه :

ـ لا تنسوا ان الجيل التالى سيكون فيه أقوام صغار لان التطور يحتاج الى أجيال عدة .. وسـيقوم بينهم النزاع كما هو قائم الان ..

ـ بل سيكون نزاعا لا نهاية له ، ولن يستطيع الطرفان ان يتحابا أو يتعاونا .. ذلك لان العظمة كامنـة فى كل مولود يتلهف على الفذاء لينمو ..

ـ اذن سأعود لاخبر « كترهام » برأيكم ..

ـ كلا .. ستبقى انت معنا .. وسنبعث له نحن برأينا فى فجر الغد ..

ـ وصل الى سمعنا أنه ينوى استئناف القتال ..

فقال « ردوود » الصغير :

ـ وماذا فى ذلك ؟. ليفعل . وليكن ما يكون ..

وأمن الجميع على قوله ..

وفجاة قفز الى ذهن « ردوود » خاطر عجيب .. فقد خيل اليه ان كل ما يراه امامه ليس الا أضغاث أحـلام ، وانه فى حلم لن يلبث أن يفيق منه فيجد نفسه فى بيته وفى مكتبه ، وان الجبابرة قد افنوا عن آخرهم وان الفذاء قد اعدم وانه هو قد أودع السجن .. **ولـكن ما هى**

الحياة ان لم تكن هذا ؟.. أن يظل الانسان سجيناً الى الابد ! وانتهى الى انه سيصحو من نومه وحلمه فيجد نفسه غارقا بين الحرب والدماء .. وأن الغذاء ان هو الا سخف من سخافات الخيال، وأن اماله فى عالم عظيم من الجبابرة ان هو الا سراب ، وان الصغار لا يمكن أن يغلبوا على أمرهم ..!

ولفه شعور باليـأس واعتقـد أن القدر يغرر به وأن الحجاب لن يلبث أن ينقشع عن عينيه ، فانزعج وانتصب واقفا وغطى عينيه بيديه ،وظل فترة من الوقت على هذه الحال ، يخشى ان يفتحهما حتى لا يرى ما حوله فيجـد أن الحلم قد تبخر ..

وراح الجبابرة يتحدثون بصوت خفيض ، طغت عليه طرقات المطارق .. وأخذت شكوكه تتضاءل حين سـمع الجبابرة يتحدثون ، وسمع وقع أقدامهم من حوله .. اذن فهو الواقع وهى الحقيقة التى لا ريب فيها ، لا تقل فى واقعها عن الحق الذى يملأ جوانح الانسان، وقدانبثقت منها العظمة بمختلف صنوفها ، التى يدخرها المستقبل للعالم .. والى جانبها أشياء أخرى على نقيضها .. هم أولئك الصغار بحيوانيتهم وضعفهم .. تلك التى ستئول الى زوال .. ورفع « ردوود » يديه عن عينيه وفتحهما .. وقال أحد الحدادين من الجبابرة :

ـ لقد انتهينا ...

ثم القى هو وزميله مطرقتيهما على الارض ..

وتناهى الى سمع « ردوود » صـوت من مكان عال فالتفت نحوه ، فلمح ابن « كوسار » فوق السـور بين اخوانه ، يخطب فيهم قائلا :

ـ ليس هدفنا أن نقضى على الصغار ليخلو لنا العالم ابد الدهر .. فلسنا الا من طينتهم .. والفارق بيننا وبين صغارهم ضئيل طفيف .. وليس كفاحنا من أجل أنفسنا بل من أجل المدنية والمعرفة .. ان غاية وجودنا انما هو تنمية وتقوية روحنا الكبيرة لنؤدى رسالتنا .. وأكرر القول ان كفاحنا ليس من أجل أنفسنا ، فنحن طليعة مؤقتة لجيل جديد .. هذا ما لقننا اياه الأب « ردوود » .. فنحن والصغار لسنا سوى كيان شكلى وأداة يطل منها الروح المرتقب على الكون ليتطور الى حياة أفضل .. فلم يخلق العالم للجمود ، ولم يخلق البشر للهو .. ولو كان الأمر كذلك لهانت علينا أرواحنا وقدمناها طائعين الصغار ... ولما كنا جديرين بأن نعيش ، ولكانوا هم جديرين بالانصياع حتى للحشرات .. اننا نكافح من أجل النماء المطرد الى الابد .. سواء عشنا أو متنا .. اننا نمهد السبيل لضمان النماء ، ذلك هو ناموس الحياة الابدى الذى أوجدته عناية الله لكى تخرج الكائنات الصغيرة من الظلمات الى النور ..

وتوقف عن الكلام برهة ، ثم استطرد يقول بصوت رزين هادىء :

ـ ان هدفنا هو العظمة أيها الاخوان .. فهيا اليها ، بل الى ما هو فوق العظمة .. الى النماء الذى يقرب ما بين الانسان وبين خالقه ..ليعينه على ادراك عظمته .. النماء الذى يجعل من هذه الدنيا منفذا الى دار أخرى فيها الخلود والعظمة .. والذى لا تشعر فيه الروح بالخوف .. فتسمو الى هناك ..

واشار بيده الى السماء ..

ثم سكن الصوت وتلألأت اشعة الضوء الساطع ،

واستقرت برهة فوق راسه .. فظهر امام الاعين جبارا عظيما يشير بيده ألى السماء ..

- وظل فى وقفته تلك فترة من الوقت ، وكان يبـــدو للعيان وهو يتطلع دون وجل الى السماء ، وقد تناثرت فيها النجوم ، بملابسه المعدنية وجسمه الضخم القوى وعزيمته الجبارة وهدوئه الرهيب ، ثم تجاوزه الضـــوء فخلفه شبحا أسود تحت قبة السماء الزرقاء .. رافعا يده كانه يهدد الكون ...

كتاب الهلال

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هى سلسلة ثقافية كبيرة قامت بنشرها دار الهلال لتيسير القـــراءة المفيدة للجميع .. ففى الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لاحد كبار الكتاب فى الشرق والغرب ، فى اخراج انيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتـاب الواحد ١٠٠ مليم بخلاف مصاريف البريد المسجل وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية ، وقد نفدت جميعا حتى رقم ١٢٧ :

١ ـ عبقرية محمد
تأليف عباس محمود العقاد
٢ ـ ماجلان قاهر البحار
تأليف ستيفان زفايج
٣ ـ هرون الرشيد
تأليف المرحوم الدكتور احمد امين
٤ ـ ابو الشهداء
تأليف عباس محمود العقاد
٥ ـ جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف ف . يان
٦ ـ قلب النسر
تأليف أوكتاف أوبرى
٧ ـ السيد عمر مكرم
تأليف محمد فريد أبو حديد
٨ ـ غاندى : القديس الثائر
تأليف لويس فيشر
٩ ـ زعيم الثورة سعد زغلول
تأليف عباس محمود العقاد
١٠ ـ الزعيم احمد عرابى
تأليف عبد الرحمن الرافعى
١١ ـ بطلة كربلاء
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء
١٢ ـ اشعب أمير الطفيليين
تأليف توفيق الحكيم
١٣ ـ نفرتيتي ربة الجمال والتاج
تأليف صوفى عبد الله
١٤ ـ حديث رمضان
تأليف الامام محمد مصطفى المراغى
١٥ ـ عبقرية خالد
تأليف عباس محمود العقاد
١٦ ـ الذئب الاغبر مصطفى كمال
تأليف الـــكابتن هـ . س . ارمسترونج
١٧ ـ كليو باترا فى خان الخليلى
تأليف محمود تيمور
١٨ ـ الاسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش
١٩ ـ لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز
٢٠ ـ مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف عبد الرحمن الرافعى

٢١ ــ القائد الأعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد
٢٢ ــ زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل
٢٣ ــ مذكرات عرابى (الجزء الاول)
تأليف الزعيم احمد عرابى
٢٤ ــ مذكرات عرابى (الجزء الثانى)
تأليف الزعيم احمد عرابى
٢٥ ــ عبقرية عمر
تأليف عباس محمود العقاد
٢٦ ــ آمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء
٢٧ ــ فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد
٢٨ ــ عصا الحكيم فى الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم
٢٩ ــ أبو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقى
٣٠ ــ البؤساء
تأليف فيكتور هيجو
٣١ ــ علمتنى الحياة
لنخبة من علماء الشرق والغرب
٣٢ ــ فى الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازنى
٣٣ ــ مدرسة المغفلين
تأليف توفيق الحكيم
٣٤ ــ لا تقتل نفسك
تأليف بيتر شتاينكرون
٣٥ ــ عصاميون من الشرق والغرب
لنخبة من كبار الكتاب
٣٦ ــ الارواح المتمردة ــ الاجنحة المتكسرة ــ الموسيقى
تأليف : جبران خليل جبران
٣٧ ــ ذو النورين عثمان بن عفان
تأليف عباس محمود العقاد

٣٨ ــ محمد الثائر الاعظم
تأليف فتحى رضوان
٣٩ ــ عش مائة عام
تأليف جايلود هاوزر
٤٠ ــ الحرية الحمراء
تأليف حبيب جاماتى
٤١ ــ أهل الكهف
تأليف توفيق الحكيم
٤٢ ــ الله
تأليف عباس محمود العقاد
٤٣ ــ عش شابا طول حياتك
تأليف فيكتور بوجومولتز
٤٤ ــ علم الفراسة الحديث
تأليف جرجى زيدان
٤٥ ــ نساء النبى
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء
٤٦ ــ ثائرون
تأليف محمود تيمور
٤٧ ــ زهرة العمر
تأليف توفيق الحكيم
٤٨ ــ هذا مذهبى
باقلام نخبة من الشرق والغرب
٤٩ ــ قادة النيل
تأليف اميل لودفيج
٥٠ ــ مطلع النور
تأليف عباس محمود العقاد
٥١ ــ يوميات نائب فى الارياف
تأليف توفيق الحكيم
٥٢ ــ طريق السعادة
تأليف فيكتور بوشيه
٥٣ ــ الف ليلة وليلة
(الجزء الاول)
٥٤ ــ عبقرية الصديق
تأليف عباس محمود العقاد
٥٥ ــ الف ليلة وليلة
(الجزء الثانى)
٥٦ ــ مدينة الشيطان
تأليف توفيق الحكيم

٥٧ ـ الف ليلة وليلة
(الجزء الثالث)
٥٨ ـ معاوية بن ابى سفيان
تأليف عباس محمود العقاد
٥٩ ـ الف ليلة وليلة
(الجزء الرابع)
٦٠ ـ اعرف نفسك
تأليف ادوارد سبنسر كولنز
٦١ ـ الف ليلة وليلة
(الجزء الخامس)
٦٢ ـ مع الله .. فى السماء
تأليف الدكتور احمد زكى
٦٣ ـ الف ليلة وليلة
(الجزء السادس)
٦٤ ـ قصة الثورة كاملة
تأليف أنور السادات
٦٥ ـ جحا الضاحك المضحك
تأليف عباس محمود العقاد
٦٦ ـ بنات النبى
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء
٦٧ ـ عبقرية الامام على
تأليف عباس محمود العقاد
٦٨ ـ شاعرة الطليعة : عائشة تيمور
تأليف الآنسة مى
٦٩ ـ الصديقة بنت الصديق
تأليف عباس محمود العقاد
٧٠ ـ بطل الكفاح: الشهيد محمد فريد
تأليف عبد الرحمن الرافعى
٧١ ـ قال الرئيس
للرئيس جمال عبد الناصر
٧٢ ـ بناة النهضة العربية
تأليف جرجى زيدان
٧٣ ـ محمد الرسول البشر
تأليف توفيق الحكيم
٧٤ ـ القصر المسحور
تأليف طه حسين ـ توفيق الحكيم
٧٥ ـ قصة الثورة كاملة
تأليف أنور السادات

٧٦ ـ أسرار الثورة المصرية
تأليف أنور السادات
٧٧ ـ عصفور من الشرق
تأليف توفيق الحكيم
٧٨ ـ البؤساء (طبعة جديدة)
تأليف فيكتور هوجو
تعريب حافظ ابراهيم
٧٩ ـ اخلاق للبيع
تأليف فتحى رضوان
٨٠ ـ لا شيوعية ولا استعمار
تأليف عباس محمود العقاد
٨١ ـ قصة الوحدة العربية
تأليف انور السادات
٨٢ ـ حياة المسيح
تأليف عباس محمود العقاد
٨٣ ـ الفكاهة فى مصر
تأليف الدكتور شوقى ضيف
٨٤ ـ عش سليما بغير مرض
تأليف الدكتور ابراهيم فهيم
٨٥ ـ شهر رمضان
بقلم خليل طاهر
٨٦ ـ ســارة
بقلم عباس محمود العقاد
٨٧ ـ صلاح الدين الايوبى
تأليف محمد فريد ابو حديد
٨٨ ـ ياولدى .. هذا عمك جمال
بقلم انور السادات
٨٩ ـ ابليس
بقلم عباس محمود العقاد
٩٠ ـ جبران خليل جبران
بقلم ميخائيل نعيمة
٩١ ـ روائع شكسبير (الجزء الاول)
تلخيص شارل ومارى لام
٩٢ ـ سكينة بنت الحسين
بقلم الدكتورة بنت الشاطىء
٩٣ ـ روائع شكسبير (الجزء الثانى)
تلخيص شارل ومارى لام

٩٤ ـ روائع شكسبير (الجزء الثالث)
تلخيص شارل ومارى لام
٩٥ ـ آخر الطريق
بقلم أمينة السعيد
٩٦ ـ دروس من القرآن الكريم
بقلم الامام محمد عبده
٩٧ ـ حديث عيسى بن هشام
(الجزء الاول)
بقلم محمد المويلحى
٩٨ ـ حديث عيسى بن هشام
(الجزء الثانى)
بقلم محمد المويلحى
٩٩ ـ مذكرات نجيب الريحانى
بقلم نجيب الريحانى
١٠٠ ـ ليالى سطيح
تأليف حافظ ابراهيم
١٠١ ـ اعترافات شبابى
بقلم ليوتولستوى
١٠٢ ـ عجائب وأساطير
تأليف الدكتور شوقى ضيف
١٠٣ ـ المرأة فى القرآن الكريم
تأليف عباس محمود العقاد
١٠٤ ـ الملك والثوار فى عربة
تأليف فتحى رضوان
١٠٥ ـ الدكتور زيفاجو (الجزءالاول)
تأليف بوريس باسترناك
١٠٦ ـ الدكتور زيفاجو(الجزءالثانى)
تأليف بوريس باسترناك
١٠٧ ـ مذكرات محكوم عليه بالاعدام
بقلم فيكتور هوجو
ترجمة لطفى سلطان
١٠٨ ـ الاسلام فى القرن العشرين
تأليف عباس محمود العقاد
١٠٩ ـ تيودورا الممثلة المتوجة
تأليف شارل ديل
ترجمة حبيب جاماتى
١١٠ ـ وثبة الاسلام
تأليف ابراهيم المصرى

١١١ ـ طريقك الى السعادة
تأليف الدكتور جون ا ، شندلر
ترجمة عبد المنعم الزيادى
١١٢ ـ انت وفناؤك
تأليف الدكتور ابراهيم فهيم
١١٣ ـ قلب وتاج
تأليف اميل لودفيج
١١٤ ـ الاسلام بين العلم والمدنية
للاستاذ الامام محمد عبده
١١٥ ـ ابو نواس الحسن بن هانىء
تأليف عباس محمود العقاد
١١٦ ـ عش مطمئن النفس
تأليف الدكتور فـرانك س .
كابريو
ترجمة عبد المنعم الزيادى
١١٧ ـ الحب ابو العجائب
بقلم فكرى أباظه
١١٨ ـ عاصفة فى قلب
بقلم صوفى عبد الله
١١٩ ـ عبقرية الامام على
تأليف عباس محمود العقاد
١٢٠ ـ الامبراطورية الاسلامية
والاماكن المقدسة
بقلم الدكتور محمد حسين هيكل
١٢١ ـ مذكرات الامام محمد عبده
طاهر الطناحى
١٢٢ ـ الزواج السعيد
بقلم عبد المنعم الزيادى
١٢٣ ـ ذكريات الصبا والشباب
تأليف بوريس باسترناك
١٢٤ ـ المرأة فى حياة العظماء
تأليف ابراهيم المصرى
١٢٥ ـ هذا طريقنا
للرئيس جمال عبد الناصر
١٢٦ ـ الانسان فى القرآن الكريم
تأليف عباس محمود العقاد
١٢٧ ـ سعادتك فى ضوء علم النفس
تأليف د . لسلى ويذرهيد

وكلاء مجلات دار الهلال

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن على نحاس – ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد – ص.ب ٢١

البرازيل :
Sr. Miguel Maccul Cury,
R. 25 de Marco, 994,
Caixa Postal 7406,
Sao. Paulo, BRAZIL

سيراليون :
Messers Allie Mustapha & Sons
P.O. Box 410
Freetown Sierra Leone

سنغافورة :
Mr. Ahmed Bin Mohamad Bin Sa mait
Almaktab Attijari Assharat,
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

انجلترا :
ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND

نيجيريا :
Mr. Mohamed Said Mansour
Atlas Library Company,
25, Nnamdi Azikiwe Street
LAGOS NIGERIA